جامعة الأزهر
Al-Azhar University

أساليب الإقناع في خطبة الشيخ المراغي عن الأزهر
" دراسة بلاغية "

إعداد
د/ نهى أحمد محمد عبد الرحمن
المدرس في قسم البلاغة والنقد، بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر، مصر

العام الجامعي : ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢ م

أساليب الإقناع في خطبة الشيخ المراغي عن الأزهر دراسة بلاغية

نهى أحمد محمد عبد الرحمن

قسم البلاغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Nohaabdelrahman.3519@azhar.edu.eg

ملخص البحث: مما هو متفق عليه أن من أجل غايات النظم أن يروم المتكلم إقناع المخاطب بما يريد وحمله على التصديق والإذعان بما يقول أو ثنيه عما هو عليه وفق طرائق تعبيرية متعددة ومتنوعة تعزف على مخاطبة الجانبين العقلي والوجداني حيث تدفع بالمخاطب دفعًا حثيثًا إلى إعمال العقل والتأمل والتدبر فضلًا عما تحدثه من استمالة المشاعر والعواطف لا سيما وقد أضحى تأثير اللغة يفوق تأثير السلاح ولا يتحقق ذلك إلا لمن منحهم الله القدرة على الغوص في بواطن الأمور واستجلاء حقائق الأشياء ومتعهم بالملكة اللغوية التي تمكنهم من جودة التعبير وبراعة الأسلوب وممن حباهم الله بذلك الإمام المراغي محمد مصطفي المراغي الذي تولى مشيخة الأزهر مرتين وقد تجلى ذلك بوضوح في خطبته التي أنشأها دفاعًا عن الأزهر ضد الدعاوي الواهية التي تبناها المتخوفون من قيام الأزهر بدوره في الحياة العامة وتعالت صيحاتهم بها حيث زخرت الخطبة بقدر موفور من أساليب الإقناع التي تعين على تحقيق التأثير في نفوس المخاطبين واستمالتهم لإقرار بصواب رأيه وصدق دعواه ودحض الأفكار الفاسدة وتقويم ما اعوج من معتقدات ومفاهيم وقد جاء البحث تحت عنوان " أساليب الإقناع في خطبة الشيخ المراغي عن الأزهر دراسة بلاغية" وقد عمد البحث إلى استجلاء تلك الأساليب البلاغية التي اصطبغت بصبغة إقناعية وبيان أثرها في بناء المعنى ولما كانت الغاية القصوى من الخطبة تصحيح أفكار المخالفين ورد

شبهاتهم وكشف الحقائق التي غابت عنهم غلب على بناء الخطبة أسلوب الإيضاح بعد الإبهام وأسلوب التوكيد والأسلوب الخبري وغيرها وقل في بنائها الأساليب القائمة على التخييل كالتشبيه والمجاز ولأهمية تفجير ينابيع هذا الاتجاه في الدراسات البلاغية يوصى بضرورة تسليط الضوء على بيان أثر أساليب الإقناع البلاغية في صياغة النظم شعرًا ونثرًا حيث أصبح سلوك هذا المسلك مطلبًا أساسيًا في تحقيق التواصل الجيد مع الأخرين.

الكلمات المفتاحية: أسلوب، الإقناع، خطبة، المراغي، بلاغة، الأزهر.

Methods of Persuasion in Sheikh Al-Maraghi's Sermon about Al-Azhar "A Rhetorical Study"

Noha Ahmed Mohamed Abd El Rahman
Department of Rhetoric, College of Islamic and Arabic Studies for Girls, Sohag, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Nohaabdelrahman.3519@azhar.edu.eg

Abstract : What has been agreed upon is one of the most important purposes of sermon, the speaker aims to convince the addressee of what he wants and make him believe and accept what he says or dissuade him from what he is according to the various and varied expressive methods that play. In addressing both the mental and emotional aspects, whereby the addressee actively pushes the mind to perceive, reflect and meditate, as well as what he is talking about by gaining feelings and emotions, especially as the influence of language becomes more than weapons, and this is achieved only by those whom God has given the ability to delve into internal matters and clarify the facts of things and their enjoyment of the linguistic ability that enables them to obtain the quality of expression and creativity of style. And one of those whom God loved with was Imam Al-Maraghi Mohammed Mustafa Al-Maraghi who took over the Sheikhdom of Al-Azhar twice. This was clearly demonstrated in his sermon in defense of Al-Azhar against the false allegations made by those who feared by Al-Azhar's role in public life. He had to influence the interlocutors' hearts and win them to recognize the correctness of his opinion and the truthfulness of his claim, refute corrupt ideas, and correct his perverted beliefs and concepts. The research came under the title "Methods of Persuasion in the Sermon of Sheikh Al-Maraghi in Al-Azhar: A Rhetorical Study". The sermon construction was dominated by the method of clarification after ambiguity,

the method of emphasizing, the method of declaring and others, and less in the methods of constructing it based on imagination, such as simile and metaphor and the importance of blowing up the springs of this trend in rhetorical studies It is recommended to highlight the statement of the impact of rhetorical methods of persuasion in the formulation of speech in poetry and prose, where this behavior has become An essential requirement in achieving good communication with others

Keywords: The method of persuasion, The sermon of Al-Maraghi, The rhetoric of Al-Azhar

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، ثم أما بعد...

فمما هو متفق عليه أن من أجَّل غايات النظم أن يروم المتكلم إقناع المخاطب بما يريد، وحمله على التصديق والإذعان بما يقول، أو ثنيه عما هو عليه وفق طرائق تعبيرية متعددة ومتنوعة تعزف على مخاطبة الجانبين العقلي والوجداني، حيث تدفع المخاطب دفعًا حثيثًا إلى إعمال العقل والتأمل والتدبر، فضلًا عما تحدثه من استمالة المشاعر؛ إذ لا يخفى ما للكلمة من تأثير فعال يفوق في كثير من المواقف تأثير الفعل، ولا يتحقق ذلك إلا لمن منحهم الله القدرة على الغوص في بواطن الأمور، واستجلاء حقائق الأشياء، وحباهم بالملكة اللغوية التي تمكنهم من جودة التعبير، وبراعة الأسلوب؛ إذ يعينهم ذلك على الاستحواذ على القلوب، واستلهام العقول.

وممن حباهم الله بذلك الإمام محمد مصطفى المراغي (١٨٨١ -١٩٤٥م) الذي تولى مشيخة الأزهر مرتين، وقد كان - رضي الله عنه - شغوفًا بالإصلاح من أجل النهوض بالأمة الإسلامية، ووضعها في صفوف الأمم المتقدمة، والوقوف موقف المصلح يتطلب التسلح بالوسائل المعينة على إحداث التأثير في الآخرين كالأساليب البلاغية التي اصطبغت بصبغة إقناعية، القادرة على تقرير المعني وتمكينه في النفس، أو استدراج المخالف لتغيير معتقده أو سلوكه كالتوكيد، والإيضاح بعد الإبهام، والأساليب الإنشائية، والتشبيه، والتمثيل، والاستعارة، والكناية، والطباق، والمقابلة، والتعليل، والمذهب الكلامي، والتقسيم، ورد العجز على الصدر، والجناس، ونحو ذلك، وقد تجلى ذلك بوضوح في خطبة الشيخ المراغي التي أنشأها

دفاعًا عن الأزهر الشريف ضد الدعاوي الواهية التي تبناها المتخوفون من قيام الأزهر بدوره، وأثر ذلك على الحياة العامة، وتعالت بها صيحاتهم، حيث اعتمدت الخطبة على ركائز معينة تمثلت في رد الشبهات، وتصحيح الخطأ، وتأسيس المبادئ؛ ومن ثم حوت الخطبة العديد من طرائق التعبير المتنوعة التي توسل بها الخطيب لتحقيق بغيته المتمثلة في إقناع المتخوفين بخطأ دعواهم وبيان وجه الصواب بقلب اعتقادهم، سالكًا مسلك المقابلة التي كانت محور بناء الخطبة، فعمد البحث إلى استجلاء تلك الأساليب، والكشف عن أثرها في إبراز المعنى، وجاء البحث موسومًا بعنوان: "**أساليب الإقناع في خطبة الشيخ المراغي عن الأزهر دراسة بلاغية**".

وقد توافرت عدة دوافع كان لها أثر بالغ في انصراف الهمة إلى دراسة هذا الجانب من أبرزها:

١ – التدليل على أن مراعاة الإقناع في بناء النظم العربي منهج أصيل، وليس مستقى من الثقافات الغربية.

٢ – كشف اللثام عن أساليب الإقناع البلاغية التي زخرت بها الخطبة، وبيان دواعي تعددها وتنوعها، وأثرها في تحقيق المقصود.

٣ – تسليط الضوء على ما يتمتع به الخطيب من ملكة لغوية، ومقدرة بلاغية مكنته من تطويع الأساليب البلاغية لخدمة ما يرمي إليه بما ينسجم مع السياق، والغرض المراد.

٤ – الحاجة الملحة إلى معرفة أساليب الإقناع البلاغية، فقد أصبح المجتمع يميل إلى اتخاذ اللغة سبيلًا للتأثير، والدفاع عن الآراء، والمعتقدات، والسلوكيات في شتى جوانب الحياة.

٥ – قلة الدراسات البلاغية التي عنيت بإبراز هذا الجانب في الأدب العربي قديمًا وحديثًا، لاسيما خطبة المراغي التي تحدث فيها عن الأزهر، ورد

الشبهات التي وجهت إليه حيث لم تنل حظها من دراسة هذا الجانب.

٦ – تفجرت فكرة دراسة أساليب الإقناع في خطبة الشيخ المراغي من فكرة ورقة عمل تقدمت بها للمشاركة في المؤتمر العلمي الدولي الأول "الأزهر الشريف تاريخ وريادة"، الذي أقيم في رحاب كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج مارس ٢٠٢٢م، وكانت بعنوان: "من بلاغة الإيضاح بعد الإبهام عند الشيخ المراغي ت (١٨٨١– ١٩٤٥م)"، تناولت تحليل أنموذجين: أحدهما من الخطبة موضع الدراسة، حيث تجلى من خلال القراءة الواعية لها اعتماد الشيخ أساليب إقناع متعددة ومتنوعة كوسيلة لغوية مؤثرة في رد الشبهات التي وجهت إلى الأزهر.

ولما كان الشيخ متبنيًا فكرة الإصلاح والتجديد تجلت له أياد بيضاء على جوانب الحياة الدينية، والاجتماعية، والقضائية، والسياسية، وغيرها، وظهر ذلك جليًا فيما أُثر عنه من مؤلفات، ودروس دينية، وخطب، ومقالات، ورسائل، وغير ذلك، صاغها بأسلوب متميز جمع بين الرصانة والسهولة؛ ومن ثم انصرف همة كثير من الباحثين إلى دراسة هذا التراث؛ لاستجلاء ما فيه من درر مؤثرة في الفرد والمجتمع، وقد تيسر لي الاطلاع على عدد من تلك الدراسات التي تنوعت في الغاية المنشودة، حيث عُنيت طائفة منها بإبراز معالم الإصلاح عند الشيخ، لاسيما الإصلاح الديني، والقضائي، والسياسي، والفقهي، وهي:

١ – "**الأزهر الشريف بين المراغي والظواهري**"، د/ مجاهد توفيق الجندي، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد الثامن عشر ٢٠٠٠م.

٢ – " **الشيخ المراغي والإصلاح الديني في القرن العشرين الإمام المراغي أنموذجًا**"، كتاب مطبوع، تأليف د/ محمد عمارة، طبعة المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية ٢٠٠٧م.

٣ - " **الإمام المراغي وجهوده في الدعوة**"، كتاب مطبوع تأليف ا.د/ أحمد عمر هاشم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وزارة الأوقاف يونيو ٢٠٠٧م.

٤ - " **ملامح التجديد الفقهي عند الإمام المراغي**"، كتاب مطبوع، تأليف ا.د/ عبد الله مبروك النجار، أغسطس ٢٠٠٧م.

٥ - "**الشيخ المراغي ودوره في المجتمع المصري (١٨٨٢- ١٩٤٥م)**"، رسالة ماجستير، إعداد الباحث/ عبد الرحمن محمد البكري، مخطوط بكلية الآداب جامعة طنطا ٢٠٠٩م.

٦ - "**إصلاحي في جامعة الأزهر أعمال مصطفى المراغي وفكره**" كتاب مطبوع، فرنسين كوستيه، ترجمة/ عاصم عبد ربه حسين، المركز القومي للترجمة بالقاهرة ط الأولى ٢٠١٣م.

٧ - "**الإمام المراغي ومنهجه في الإصلاح**" د/ خديجة عبد السميع أحمد، بحث منشور بمجلة مؤتمر "الأزهر الشريف تاريخ وريادة"، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ٢٠٢٢م.

٨ - " **فقه الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي ت (١٣٦٤هـ) جمعًا ودراسة**"، رسالة دكتوراه للباحث/ محمد السيد محمود ، مخطوط بكلية الآداب جامعة سوهاج ٢٠٢٢م.

وطائفة عنيت بتسليط الضوء على حياة الشيخ، ومقومات تفرده في عصره نحو:

١ - " **الإمام المراغي**"، كتاب مطبوع، تأليف ا/ أنور الجندي، دار المعارف بمصر ١٩٥٢م.

٢ - " **الشيخ المراغي بأقلام الكتاب**"، كتاب مطبوع، تأليف الشيخ/ أبو الوفا

المراغي، المطبعة المنيرية ط الأولى ١٩٥٧م.

٣ - " **المنحنى الإنساني في فكر الإمام المراغي (البواعث والآثار)**"، بحث ترقية إعداد/ د محمود بُطل محمد، بحث منشور بمجلة كلية الدعوة جامعة الأزهر بالقاهرة ٢٠١٧م.

وطائفة عُنيت بإبراز ما يتمتع به الشيخ من مقدرة أدبية نحو:

١_ "الإمام الشيخ/ محمد مصطفى المراغي والأدبي الإسلامي في تراثه" رسالة ماجستير، د/ أحمد يوسف خليفة مخطوط بكلية التربية جامعة القاهرة ١٩٧٧م، وقد وضعت الدراسة نصب العين الكشف عن خصائص أدب الشيخ بفنونه المختلفة، واقتصرت على عرض نماذج من خطبه، ورسائله، وأحاديثه وتحليلها تحليلًا أدبيًا من حيث الألفاظ والعبارات، والمعاني والأفكار، والخيال والعاطفة، دون أن تتعرض للخطبة موضع الدراسة.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي الذي تمثلت خطواته فيما يأتي:

١ - رصد أكثر أساليب الإقناع ورودًا في نظم الخطبة التي اتخذها الخطيب أداة لتحقيق التأثير في المخاطب.

٢ - تصنيف تلك الأساليب تصنيفًا دقيقًا مراعى في ذلك الأسلوب الرئيس الذي بني عليه النظم، واعتبار ما حواه من أساليب أخرى معضدة ما يرمي إليه.

٣ - تحليل تلك الأساليب تحليلًا بلاغيًا كاشفًا عن أثر بناء النظم مادة وبنية في تحقيق إقناع الآخرين.

وجدير بالذكر اقتصار الدراسة من نص الخطبة على ما يتصل بعرض الشيخ دعوى المتخوفين والرد عليها، وبيان المنهج الأمثل لدراسة التراث الديني.

واقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي في مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية متنوعة.

المقدمة: تضمنت الإشارة إلى أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: اشتمل على ثلاثة محاور:

المحور الأول: نبذة عن الشيخ المراغي.

المحور الثاني: إضاءة على حد الإقناع وسماته الأسلوبية.

المحور الثالث: الإقناع والبلاغة العربية.

المبحث الأول : أسلوب الإيضاح بعد الإبهام.

المبحث الثاني : أسلوب التوكيد.

المبحث الثالث : أسلوب المقابلة.

المبحث الرابع : أسلوب الشرط.

المبحث الخامس : أسلوب الاقتباس.

المبحث السادس : أسلوب المذهب الكلامي.

الخاتمة: اشتملت على أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، وتوصيات.

الفهارس الفنية المتنوعة: تشتمل على:

١ – ثبت المصادر والمراجع.

٢ – فهرس الموضوعات.

التمهيد

يشتمل على ثلاثة محاور:

- المحور الأول: نبذة عن الشيخ المراغي.
- المحور الثاني: إضاءة على حد الإقناع وسماته الأسلوبية.
- المحور الثالث: الإقناع والبلاغة العربية.

المحور الأول

نبذة عن الشيخ المراغي.

حبا الله مصر بالأزهر الشريف، فسطع نجمها في سماء العالم، وحبا الأزهر بعلماء أجلاء أبروا بقسمهم على إعلاء شأن الأزهر والدفاع عنه، ومن أبرز هؤلاء شيخ الأزهر الإمام محمد مصطفى المراغي الذي يعد علمًا من أعلام الأمة الإسلامية الذين قلما يجود الزمان بمثلهم، صورة صادقة للأئمة المصلحين، والعلماء المجتهدين المجددين .

ولد الإمام المراغي في السابع من ربيع الثاني ١٢٩٨هـ / التاسع من مارس ١٨٨١م بالمراغة، مركز "جرجا"، محافظة "سوهاج" بصعيد مصر، وقد تميز بالنجابة، وشدة الذكاء، فألحقه والده بالأزهر الشريف، فكان أصغر من حصل على شهادة العالمية، حيث حصل عليها وهو في الرابعة والعشرين من عمره ، وقد تلقى الشيخ العلم في الأزهر على يد كوكبة من علمائه، وكان يبدأ الكتاب على أحد أشياخه، ثم يتمه مذاكرة مع أحد زملائه.

تأثر الشيخ بعلماء التيار المجدد أمثال الشيخ (علي الصالحي) الذي درس المراغي عليه علوم العربية، وتأثر بأسلوبه في البيان والتعبير، كذلك كان تلميذًا روحيًا للشيخ (محمد عبده)، الذي اختصه بكثير من توجيهاته ونصائحه، فكان امتدادًا له في تبني فكرة التجديد والإصلاح.

اشتغل الشيخ بالقضاء، وتولى مناصب قضائية متعددة، وترقى في تلك

المناصب إلى أن صار قاضي قضاة السودان، ثم صار قاضي قضاة مصر، فانتفع بتوجيهات الشيخ (محمد عبده) في إصلاح المحاكم الشرعية.

وقد كان للشيخ نصيب موفور في المشاركات السياسية، ومن المواقف الدالة على ذلك تصديه للمخطط الصهيوني المتحالف مع الاستعمار الإنجليزي لاغتصاب أرض فلسطين، ومن ذلك أيضًا معارضته سعي إنجلترا لإدخال مصر مع الحلفاء الحرب ضد المحور قائلًا مقولته الشهيرة:" نسأل الله أن يجنبنا ويلات حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل".

ومع أن الشيخ احترف صناعة الإصلاح أكثر من صناعة التأليف، وأنجز في ميدان تربية العلماء أعظم مما أنجز في تسطير الكتب ترك لنا غير الخطب، والرسائل، والدروس الدينية، والأحاديث، والمقالات، ومذكرات المشاريع الإصلاحية بعض المؤلفات مثل:

١ – "الأولياء والمحجورون"، وهو بحث فقهي نال به عضوية هيئة كبار العلماء.

٢ – مباحث لغوية وبلاغية كتبها أثناء تدريسه كتاب " التحرير في الأصول".

٣ – "تفسير جزء تبارك"، جعله امتدادًا لتفسير أستاذه الشيخ محمد عبده لتفسير جزء عم.

٤ – بحث عن "المحاكم الشرعية ووسائل إصلاح العمل فيها" عبارة عن تقريره حول سير العمل في المحاكم الشرعية ومشكلاتها وطرق علاجها.

٥ – بحث في "أحكام الوقف"، قدمه الشيخ إلى مجلس الوزراء، وأقره كمشروع قانون، وهو مخطوط في مكتبه في حلون.

٦ – بحث في " أحكام الوصية"، تناول فيه تعريف الوصية، وأشار إلى ركنها وشروطها، وهو مخطوط في مكتبته في حلون.

٧ – بحث حول موضوع " الإسلام في العصر الحديث"، تحدث فيه عن

الصراع المادي، وعلاج الإسلام لمشكلات العصر.

٨ – بحث عن "العناية بالصحة في الإسلام"، وقد كتبه ليلقيه في الاحتفال بالأسبوع الصحي الثالث في مايو ١٩٣٦م.

٩ – بحث عن "حاجة البشر إلى الشرائع"، وقد كتبه لتنشره مجلة العلوم الإسلامية بسومطرا.

١٠ – بحث في وجوب ترجمة القرآن الكريم .

١١ – " رسالة الزمالة الإنسانية" كتبها لمؤتمر الأديان بلندن ١٩٣٥م.

وهذه المؤلفات كشفت عما يتمتع به الشيخ من بلاغة عالية، فهو صاحب الأسلوب الهادئ العميق السهل الممتنع الذي تحس معه صفاء النفس، وجلال الفكرة، وتوقد الذهن، وبعد النظر، ولباقة العرض، وسلامة السياق، وصدق الحجة، وبراعة المثال.

تولى الإمام مشيخة الأزهر مرتين: الأولى في عام ١٩٢٨م ومكث أربعة عشر شهرًا، وهذه الفترة كانت من أخطر فترات الأزهر، وأجلها شأنًا حيث وضعت فيها بذور الإصلاح، والثانية من عام ١٩٣٥م إلى أن لقي وجه ربه في ٢٠ أغسطس ١٩٤٥م، ودفن في مقبرة خاصة به بالقرب من مسجد السيدة نفيسة(رضي الله عنها)[١] .

---

(١) ينظر: الإمام المراغي، أنور الجندي، (٦: ٢٨)، و(١٣٢)، دار المعارف بمصر ١٩٥٢م، والشيخ المراغي بأقلام الكتاب، أبو الوفا المراغي (٥: ١٢)، المطبعة المنيرية، ط الأولى ١٩٥٧م،والشيخ المراغي والإصلاح الديني في القرن العشرين، أ.د/ محمد عمارة (٥: ٢١)، دار السلام للطباعة والنشر بدون، والمجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر ١٠٠هـ – ١٣٧٠هـ ،عبد المتعال الصعيدي (٤١١: ٤١٤)، مكتبة الآداب القاهرة ١٩٩٦م، الإمام الشيخ / محمد مصطفى المراغي والأدب الإسلامي في تراثه أحمد يوسف محمد خليفة (١٥: ١٥٨).

المحور الثاني

إضاءة على حد الإقناع وسماته الأسلوبية

الإقناع في اللغة: "القاف، والنون، والعين" أصل يدور حول الرضا، والقبول، والإنصاف، يقال: "قنع بنفسه قناعة: رضي"، و"الإقناع: الإقبال بالوجه على الشيء"، و"اقتنع بالفكرة أو الرأي: قبله، واطمأن إليه"(١).

الإقناع في الاصطلاح:

فطن العرب قديمًا إلى وضع حد للإقناع، فجاء عنهم ما يدل على وعيهم الدقيق بفقه مدلوله في قول الخوارزمي:" الإقناع : أن يعقل نفس السامع الشيء بقول يصدق به وإن لم يكن ببرهان"(٢).

أما في العصر الحديث فقد تعددت الضوابط لتعدد الاتجاهات حيث كان الخطاب الإقناعي محور اهتمام جمع غفير من الدارسين في تخصصات متعددة ومتنوعة كالفلسفة، والاجتماع، والتربية، وعلم النفس، والأدب، ومن أقرب ما قيل في حد الإقناع: "صرف ذهن الجمهور إلى تقبل ما يقال، والسكون إليه وإشباع عواطفه، وإرضاء عقله بالحجة والبرهان"(٣)، و"محاولة واعية للتأثير في تفكير الآخرين، وسلوكهم من خلال استمالات شخصية ومنطقية ونفسية"(٤)، ولا يتحقق ذلك إلا بأساليب وطرائق لغوية تدل على

---

(١) ينظر لسان العرب، ابن منظور، مادة (ق ن ع) دار صادر بيروت ط الثالثة ١٤١٤هـ، و المعجم الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية٢/ ٧٦٣ دار الدعوة، بدون.

(٢) مفاتيح العلوم، الخوارزمي، تحقيق إبراهيم الإبياري ،٢٨٧،دار الكتاب العربي، ط الثالثة بدون.

(٣) الخطابة في صدر الإسلام " العصر الديني عصر البعثة الإسلامية"، محمد طاهر درويش، ١٠ دار المعارف بمصر، ط الثانية ٢٠٠٧م..

(٤) العلاقات العامة للأسس والمبادئ ، محمد نجيب ٩٤ مكتبة الرائد العلمية، الأردن، ٢٠٠١م.

وعي دقيق بمداخل النفس التي تنفذ منها إلى مواطن التأثير الوجدانية والعقلية.

وقد امتدت عناية العرب بهذا المسلك في بناء النظم، فكشفوا عن الغاية المترتبة عليه في قولهم: "حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله واعتقاده" (١) .

كما عرجوا على بيان منافذ الإقناع والتأثير في قولهم:" إن طبائع الناس متفاضلة في التصديق منهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان؛ إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية (٢) .

ويتشابك مدلول مصطلح الإقناع مع مدلول بعض المصطلحات الأخرى، ومن أقرب تلك المصطلحات اتصالًا مصطلحي: "الاقتناع، والحجاج".

١ – مصطلح الاقتناع :

الاقتناع في الاصطلاح: إذعان نفسي لما يجده المرء من أدلة تسمح له بقدر من الرجحان والاحتمال كاف لتوجيه عمله(٣)، ويتبدى من ذلك أن الإقناع يكون محاولة من قبل المتكلم، والاقتناع محاولة من قبل المخاطب، والعلاقة بينهما لزومية.

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة، ٢٠ دار الغرب الإسلامي، بدون.

(٢) فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ابن رشد تحقيق/ محمد عمارة، ٣١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط الثالثة، ١٩٨٦م.

(٣)ينظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا ١١١ دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢م، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد ٣/ ١٨٦٣ ، عالم الكتب، ط الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٢ – مصطلح الحجاج :

الحجاج في اللغة: "الحاء ، والجيم" أصل يدور حول التنازع، والتخاصم، والجدل، والغلبة، يقال:" حاججته: غلبته بالحجج التي أدليت بها"(١).

الحجاج في الاصطلاح :

قبل البدء في بيان حد الحجاج في الاصطلاح يجب أن نلفت الانتباه إلى أن هناك من يرى أن دراسة الحجاج لا تخرج عن مجال المنطق، وبذلك يكون مرادفًا للبرهان والاستدلال، وهناك من وسع مجال الحجاج ليشمل دراسة مجمل التقنيات الباعثة على إذعان السامع أو القارئ(٢) .

فأنصار الفريق الأول يعرفون الحجاج بأنه" جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطًا منطقيًا قاصدًا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"(٣).

ويتبدى من ذلك أن الاختلاف هو الباعث، أو المحرك الأول للحجاج(٤)، فلا يمكن أن يحدث الحجاج إلا في وجود عدم اتفاق يقتضي حله بالمواجهة الخطابية اللغوية، وليس بالقوة والعنف والمواجهات العسكرية (٥).

ولما كان الإقناع لا يشترط فيه وجود خلاف بين المتكلم والمخاطب

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ح ج ج).

(٢) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة ١٠ ط الثانية، دار الفاربي، بيروت، ٢٠٠٧م.

(٣) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد ١٤٧ الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠١٤م.

(٤) ينظر: البلاغة والاتصال، جميل عبد المجيد ١٠٦ دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(٥) ينظر: نظريات الحجاج، فيلبير بتيه، ترجمة محمد الغامدي ١٣ مركز النشر العالمي جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط الأولى ٢٠٠١م.

يتبدى بوضوح وجه التعالق بين الإقناع والحجاج المبني على العموم والخصوص، فكل حجاج إقناع، وليس كل إقناع حجاج.

أما أنصار الفريق الثاني فيقصدون بالحجاج "دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد من درجة التسليم" (١) ، فالغاية من الحجاج هي الإقناع (٢) .

سمات أسلوب الإقناع

القدرة على إقناع الآخرين تنم عن امتلاك ملكة لغوية قادرة على تطويع الأساليب البلاغية بما يتناسب مع حال المخاطب والغرض المراد؛ ومن ثم فاختيار أسلوب الإقناع لا يرد اعتباطًا بل وفق ضوابط ومعايير؛ ولذا يراعى فيه سمات معينة جديرة بتحقيق الغاية المرجوة المتمثلة في التأثير والاستجابة، ومن أهم تلك السمات:

١ – **التنوع :**

تحقيق الإقناع يستلزم تعدد وتنوع طرائق التعبير، وفتح آفاق جديدة للتأمل والتفكر والاستمالة، فالتأثير في المخاطب لا يقف عند حدود دائرة العقل بإيثار بعض الأساليب التي تغلب عليها الصبغة المنطقية كالتمثيل، والمذهب الكلامي، والمقابلة، والكناية، ونحو ذلك، بل يتجاوز ذلك إلى مستوى أقوى أثرًا يتمثل في مخاطبة الوجدان بإيثار الأساليب التي هي ألصق حالًا بذلك كالجناس، والسجع، والأساليب الإنشائية، ونحو ذلك، ويأتي هذا التنوع استجابة للفروق الفردية في تلقي المعنى وقبوله، وتنوع جهة التأثير،

---

(١) الحجاج في القرآن ٢٧.

(٢) ينظر: أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن ٣٨ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م.

وخير شاهد على مخاطبة الجانب العقلي ما ورد في نص الخطبة من استعانة الخطيب بالمذهب الكلامي لقلب اعتقاد المتخوفين من تدخل الأزهر في الحياة الفكرية حيث ترسخ في أذهانهم كونه مصدر خطر عليها في قوله: "أما الحياة الفكرية فلا أظن بحال أن الأزهر خطر عليها؛ لأن الأزهر يساير أسلافه من العلماء الأجلاء، ومن الأئمة الذين كان عندهم من سعة الصدر ما احتمل هذه المذاهب المتعددة التي نقرؤها في كتب الكلام، وفي كتب الفقه" حيث أقنعهم بحجة عقلية قائمة على قياس حال الأزهر في الحاضر على حاله في الماضي.

ومن الأساليب التي يتجلى فيها مخاطبة الجانب الوجداني أسلوب الاقتباس المبني على الأخذ من القرآن الكريم بما له من إجلال وتعظيم في نفوس المسلمين؛ فيضفي بذلك على بناء النظم قدسية ومهابة، وقد استعان الخطيب بهذا الأسلوب عند محاولة إقناع المخاطب بسماحة الدين الإسلامي في قوله: "والإسلام بطبيعته دين تسامح، ومبادئه لم تعترف بالإكراه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾(١).

ويراعى في التنوع جانب آخر يتمثل في تنوع المصدر إذ بعض أساليب الإقناع إبداعية جادت بها قريحة المتكلم، وبعضها مستشهد به مستقى من النظم القرآني، أو الحديث النبوي، أو التراث الأدبي شعرًا ونثرًا نحو ما ورد في المثالين السابقين.

٢ – ا لوضوح :

يعد الوضوح من سمات الكلام الجيد على وجه العموم، وسمة بارزة من سمات أسلوب الإقناع على وجه الخصوص؛ إذ يستلزم الإقناع إحداث الأثر في المخاطب بتغيير اعتقاده أو سلوكه، أو تقبل ما يلقى إليه، ولا يتحقق ذلك

(١) سورة البقرة الآية: (٢٥٦).

إلا بتمام التواصل بين الطرفين، وتحقيق الانسجام الكامل، وهذا يقتضي قطعًا وضوح الأسلوب، وخلوه من الغموض والإبهام؛ وتجنب أن يكون النظم محتملًا أكثر من معنى بحيث يعوق وصول المخاطب إلى الغرض المراد؛ ومن ثم يسعى المتكلم جاهدًا إلى أن يكتسي النظم بسمت الوضوح عند عرض المعاني والأفكار حتى يتحقق الاقتناع على أوسع نطاق، ويتجلى ذلك في قول الخطيب عند عرضه دعوى المتخوفين من تدخل الأزهر في الحياة العامة: "هناك شيء ينبغي أن أذكره، وهو أن الناس في مصر يخشون خطر الأزهر على الحياة العامة فهم يقولون: إن الأزهر إذا قوى واشتدت عزيمته يدخل في الحياة الاجتماعية فيكدر هذه الحياة" متخذًا من الإيضاح بعد الإبهام سبيلًا، حيث أبهم في قوله: "هناك شيء ينبغي أن أذكره"، ثم وضحه بعد ذلك بأسلوب سهل واضح يتمكن من فهمه العامة والخاصة.

٣ – القوة :

تكمن قوة أسلوب الإقناع في قوة الأثر المترتب عليه، والذي يأتي انعكاسًا لاقتناع المتكلم بفكرته، ونهجه في عرضها، وتسلحه بالأدلة الدامغة والحجج القوية فضلًا عن رغبته في إقناع غيره بها، ويتجلى أثر ذلك بوضوح في حسن اختيار أساليب الإقناع التي تتلاءم مع حال المخاطب، وموقفه مما يعرض عليه من معان وأفكار، فإذا كان المخاطب خالي الذهن أو بدا عليه تقبل المعنى يعمد المتكلم إلى الأساليب التي تناسبه كالأساليب الإنشائية، والتمثيل، والإيضاح بعد الإبهام، وغير ذلك، نحو ما كان من ملاطفة الخطيب لطلاب الأزهر متكأً في تحفيزهم على ندائهم بالوصف المحبب إليهم المشعر بالواجب الملقي على عاتقهم ترغيبًا لهم في قوله :" إن للناس فيكم أيها الأزهريون آمالًا في مصر وفي غير مصر...".

وعندما يكون المخاطب منكرًا لحقيقة ما يعرض عليه فإن المتكلم يحرص

على استدراجه بأساليب الإقناع القادرة على تغيير معتقده كالتوكيد، والمذهب الكلامي، والاستشهاد، نحو ما كان من استعانة الخطيب بأسلوب التوكيد بطرائقه المتنوعة عندما أراد أن يقرر ما هو موضع كراهية الأزهر في قوله: " لكن الأزهر يكره شيئًا واحدًا هو تعمد الاستهزاء بالدين، وتعمد الاستهزاء بالأنبياء، وتعمد الاستهزاء بأمة المسلمين، يكره هذا، ويكره أن يشكك العامة في دينهم، وأن يشكك النشء في عقائدهم، فكل شيء من شأنه أن يجعل العامة أو يجعل النشء غير مستمسكين بدينهم يقاومه الأزهر بكل ما يستطيع من قوة" حيث تعددت وسائل التوكيد نحو: " لكن، والجملة الاسمية، والتوكيد اللفظي بلفظ "واحدًا"، وتكرار بعض الألفاظ " يكره، وتعمد، والاستهزاء، ويشكك، والعامة، والنشء" مبالغة في تقرير ما رمى إليه.

٤ – التدرج :

لنجاح المتكلم في إقناع غيره على أتم وجه يجب أن يسلك في بناء النظم نهج التدرج تلطفًا بالمخاطب، وأخذًا بيده نحو القبول عقلًا ووجدانًا؛ لأن "العلم بالشيء على سبيل التدريج شيئًا بعد شيء لا شك أمكن وآكد من العلم به دفعة واحدة"(١)، وتتنوع جهة التدرج حيث يراعي "الرتبة، والزمن، والكثرة، والترقي، والسبب، وغير ذلك، وقد سلك الخطيب هذا المسلك عندما أرشد طلاب الأزهر إلى المصادر الصحيحة التي يجب أن يستقوا منها مبادئ دينهم في قوله: " **خذوه من الكتاب، والسنة، وآراء السلف الصالح من الأئمة**" مراعيًا في الترتيب التدرج الرتبي.

كما يراعى في بناء النظم على التدرج البدء بعرض ما هو مسلم متفق عليه بين الطرفين ؛ ليتخذ ذلك سبيلًا إلى الاستدراج.

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها " علم المعاني"، فضل عباس حسن ٢٨٣ دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٩٨٥م.

٥ – **التكامل :**

القدرة على الإقناع تستلزم الوعي الدقيق بأجزاء الفكرة المراد إقناع المخاطب بها، وهذا يستلزم تكامل عرض تلك الأجزاء لتتآذر جنبًا إلى جنب في تحقيق الهدف المرجو على أتم وجه كاستيفاء طرفي الطباق، والمقابلة، والتقسيم، وغير ذلك، وقد تبدى ذلك جليًا في المقابلة التي عقدها الخطيب بين مصادر الشقاء الحقيقية ، ومصادر السعادة الحقيقية، وحد وجودهما، وبيان الأثر المترتب على كل في قوله: "والفواحش ليست من الكثرة بحيث إذا انعدمت من أمة ضاع هناؤها وترفها وسعادتها، وفي المباحات من الكثرة ما يجعل الحياة سعيدة مترفة ناعمة" ترغيبًا في التزام المباح، وتنفيرًا من ارتكاب الفواحش.

المحور الثالث

الإقناع والبلاغة العربية

خلق الله الإنسان، وأمده باللغة سبيل الفهم والإذعان حيث لا تتوقف وظيفتها عند حد الفهم والتواصل بين أفراد المتحدثين بها، وإنما تتجاوز ذلك إلى غاية أسمى تتمثل في تحقيق التأثير والإقناع برأي أو سلوك، وقد فطن العرب قديمًا إلى تلك الغاية؛ ومن ثم كانت نصب أعينهم في كلامهم، فاصطبغت بها أساليبهم، فتراهم يعمدون إلى بناء النظم على التعليل في مقامات متعددة ومتنوعة كمقام التثبيت، والاستغراب، والنصح والإرشاد، والإنكار، وغير ذلك رغبة في إقناع المخاطب، ومن شواهد ذلك ما جاء في وصية أُمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس عند زفافها في قولها: "**ولا تفشي له سرًا، ولا تعصي له أمرًا؛ فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره**"(١) حيث أتى التعليل استجابة لما أثارته في نفسها من نشاط ذهني، وذكر الشيء معللًا أبلغ من ذكره بلا علة؛ لأن النفس تنبعث إلى تقبل الأحكام المعللة بخلاف غيرها (٢).

ويسلك النظم القرآني هذا المسلك جريًا على سنن العرب في كلامهم، ومن ذلك قوله ــ تعالى ــ في مقام الاستدلال على الوحدانية:" **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**"(٣) قارعًا باب التفكر وإعمال العقل، حيث سيق

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت ١٤٨ المكتبة العلمية، بيروت، بدون.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن الزركشي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم٣/ ٩١ دار إحياء الكتب العربية بيروت ط الأولى ١٩٥٧م.

(٣) سورة الأنبياء الآية: (٢٢).

النظم "للدلالة على انتفاء العدد بانتفاء الفساد"[١] متخذاً من المذهب الكلامي المبني على القياس سبيلًا.

ويصطبغ النظم النبوي بهذه الصبغة يشهد لذلك قوله ﷺ : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٢] متخذاً من التشبيه أداة لتقريب المعنى، وإقناع المخاطبين به؛ إذ" التشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان"[٣].

ويتوارث العرب هذا المسلك جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، يؤكد ذلك المطالعة الجيدة للتراث العربي من ذلك ما ورد في قول الحجاج بن يوسف الثقفي مخاطبًا أهل الكوفة: "يا أهل الكوفة ... زعمتم أني ساحر، وقد قال الله _تعالى_: " **إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** "[٤] وقد أفلحت"[٥] مستدلاً على انتفاء كونه ساحرًا بفلاحه سالكًا مسلك القياس المتكأ على مخاطبة الجانب العقلي.

وقد جعل العرب مراعاة الإقناع في بناء النظم مقياسًا لتقديم بعض الخطباء والشعراء كتقديم قس بن ساعدة، والنابغة[٦] والمتنبي[٧].

---

(١) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص، بهاء الدين السبكي ١/ ٣٥١ دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

(٢) المسند الصحيح، مسلم بن الحجاج تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي باب " تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم" ٤/ ١٩٩٩ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

(٣) أسرار البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ محمود محمد شاكر،٢٠ مطبعة المدني، القاهرة، ط الأولى ١٤١٢/ ١٩٩١م.

(٤) من سورة (طه) الآية: (٦٩).

(٥) جمهرة خطب العرب ٢/ ٣٩٥.

(٦) ينظر: البيان والتبيين الجاحظ، ١/ ٢٩٢ دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٧) ينظر: منهاج البلغاء ١١٦.

ولم تتوقف عناية العرب بإبراز تلك الغاية – قدرة اللغة على التأثير والإقناع – عند حد الاستعمال، وإنما تجاوزت ذلك إلى حد التأصيل بدرر متناثرة تكشف عن وعي دقيق بمزية الأساليب البلاغية التي تبنى على مراعاة إقناع المخاطب ابتداءً من وضعهم حدًا للبلاغة، فيطالعنا قول أكثم بن صيفي عندما سئل عن البلاغة : "دنو المأخذ، وقرع الحجة، وقليل من كثير"(١)، وقول الروماني: "البلاغة: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"(٢) يؤكد ذلك ما انتهى إليه حد البلاغة في قولهم: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"(٣)؛ إذ تحقيق الإقناع يستلزم تنوع الأساليب على وجه يتوافق مع حال المخاطب، وقد كان ذلك محور عناية كثير من البلاغيين أمثال الجاحظ(٤)،وابن وهب(٥)، وأبي هلال العسكري(٦)،وعبد القاهر الجرجاني (٧)، والسكاكي(٨)، وابن الأثير (٩)، وابن

(١) كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر أبو الهلال العسكري، تحقيق/ علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ٢٧٨، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩ه.

(٢) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو الحسن الروماني، تحقيق/ محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، ٣٨٤ ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٦م.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، ١١دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٨٥م.

(٤) ينظر: البيان والتبيين.١/ ٨٧.

(٥) ينظر: البرهان في وجوه البيان ابن وهب، تحقيق/ حفني محمد شرف (٨٦: ٩١) مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٩م.

(٦) ينظر: الصناعتين ٢٧٤.

(٧) ينظر: أسرار البلاغة ١١٥.

(٨) ينظر: مفتاح العلوم السكاكي، ضبطه/ نعيم زرزور ١٦٨ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.

(٩) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق/ أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، ٢/ (٢٠٥: ٢٠٩)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، بدون .

أبي الإصبع[١]، والسيوطي[٢]، وغيرهم، وأبرزوا ذلك في جميع علوم البلاغة؛ ولذلك صرح بعض البلاغيين بأن "مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم؛ لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب" [٣].

وتعضيدًا لذلك تجدر الإشارة إلى بعض أقوالهم في عدد من الفنون البلاغية على سبيل المثال لا الحصر نحو:

قولهم عند بيان تأثير أسلوب القصر في المخاطب: "قصر الصفة على الموصوف وبالعكس ليس إلا تأكيدًا للحكم على تأكيد ألا تراك متى قلت لمخاطب يردد المجيء الواقع بين زيد وعمرو: "زيد جاء لا عمرو" إثباتا ثانيا للمجيء لزيد"[٤]، ولا يخفى ما يحدثه ذلك من تقرير المعنى في نفسه.

وكذلك قولهم عند بيان القيمة البلاغية للكناية: "أما الكناية، فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح، أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجًا غفلًا، وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالمُخبر التجوز والغلط"[٥].

---

(١) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع، تحقيق/ حفني محمد شرف، ١١٩ لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، بدون.

(٢) ينظر: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ٤/ ٦٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م .

(٣) المثل السائر ٢/ ٢٠٥.

(٤) مفتاح العلوم ٢٩١.

(٥) دلائل الإعجاز ٧٢.

ويمتد الأمر في بيان قوة تأثير الأسلوب البلاغي في إقناع المخاطب إلى حد التعريف، نحو ما ورد في تعريف المذهب الكلامي في قولهم: "احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه "(١).

كذلك فطنوا إلى الأجناس الأدبية التي يراعى في بنائها هذا المسلك، والمقدار الذي يحسن به، فقالوا: "ينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة الواقعة في الشعر تابعة لأقاويل متخيلة مؤكدة لمعانيها مناسبة لها فيما قصد بها من الأغراض، وأن تكون المتخيلة هي العمدة، وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المتخيلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها مؤكدة لمعانيها وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة"(٢)، وضربوا المثل في ذلك بالمتنبي، حيث كان يعتمد المزاوجة بين معانيه، ويضع مقنعاتها من مخيلاتها أحسن موقع، وعدوا تجاوز ذلك مذهبًا مذمومًا(٣).

وأشاروا إلى الشروط التي يجب توافرها في النظم حتى يحقق الغاية المنشودة حين قالوا: "فإذا كان المعنى شريفًا واللفظ بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيد من الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"(٤).

(١) تحرير التحبير ١١٩.
(٢) منهاج البلغاء ١١٥.
(٣) ينظر: منهاج البلغاء ١١٦.
(٤) البيان والتبيين ١/ ٨٧.

نص الخطبة

قال الشيخ محمد مصطفى المراغي(١):

"هناك شيء ينبغي أن أذكره، وهو أن الناس في مصر يخشون خطر الأزهر على الحياة العامة، فهم يقولون: إن الأزهر إذا قوي واشتدت عزيمته، يدخل في الحياة الاجتماعية فيكدر هذه الحياة ، إذ يحظر حرية الفكر، ويقف حجر عثرة في طريق الأفكار العلمية الحرة، هذا من جهة ومن جهة أخرى يحرم الناس ملاذهم وشهواتهم، والحياة لا تحتمل ولا تطاق إذا سيطر الأزهر عليها بسلطان الدين.

هذا شيء يقوله الناس أحببت أن أذكره لكم، أما الحياة الفكرية فلا أظن بحال أن الأزهر خطر عليها؛ لأن الأزهر يساير أسلافه من العلماء الأجلاء، ومن الأئمة الذين كان عندهم من سعة الصدر ما احتمل هذه المذاهب المتعددة التي نقرؤها في كتب الكلام، وفي كتب الفقه، والتي ننقدها ونختار منها ما هو صالح، ونترك ما ليس بصالح.

والإسلام بطبيعته دين تسامح، ومبادئه لم تعترف بالإكراه "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"، " أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ "، وقد حمى الإسلام أديانًا تخالفه، وحمي علماء الإسلام مذاهب غير صحيحة، واجتهدوا في أن يردوا عليها بالدليل، وبقيت هذه المذاهب حية عائشة في كتبنا التي نقرؤها في الأزهر، فليس الأزهر من المعاهد التي تكره حرية الرأي والآراء العلمية، لكن الأزهر يكره شيئًا واحدًا هو تعمد الاستهزاء بالدين، وتعمد الاستهزاء بالأنبياء، وتعمد الاستهزاء بأمة المسلمين، يكره هذا، ويكره أن يشكك العامة في دينهم، وأن يشكك النشء في عقائدهم، فكل شيء من شأنه أن يجعل العامة أو يجعل النشء غير مستمسكين بدينهم

(١) جريدة الأهرام، ص١٢، ٦ – ٥ – ١٩٩٣م.

يقاومه الأزهر بكل ما يستطيع من قوة.

أما الآراء العلمية في حدود العلم وفي دائرته فإنها تدرس في المعاهد الكبرى دون أن يخطر للأزهر ببال أن يقاومها، أو يكون حجر عثرة في سبيلها.

وأما الحياة الاجتماعية فالله تعالى يقول:" قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" هذا هو الذي يدخل فيه الأزهر، فهو يقاوم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويقاوم الذين يقولون على الله بغير علم، والفواحش ليست من الكثرة بحيث إذا انعدمت من أمة ضاع هناؤها وترفها وسعادتها، وفي المباحات من الكثرة ما يجعل الحياة سعيدة مترفة ناعمة، فالدائرة التي يقاومها الأزهر لا يمكن أن تجعل الأمة عديمة الهناءة.

إن للناس فيكم أيها الأزهريون آمالًا في مصر وفي غير مصر، والحياة الإسلامية تنتعش في هذا الوقت في الأمة المصرية وغيرها، وهذا الانتعاش يحتاج إلى عناية ورقابة وتدبر وتبصر.

إن الذي يجب عليكم هو أن تفهموا دينكم حق الفهم، وأن تعرضوه على الناس عرضًا صحيحًا، وأن لا تبقوا فيه تلك الإضافات التي أضيفت إليه، وكرهت بعض الناس فيه.

جردوا دينكم من كل ما غشيه، وخذوه من الينابيع الصحيحة، خذوه من الكتاب والسنة وآراء السلف الصالح من الأئمة، واتركوا بعد ذلك ما جد وعرض، فإذا فعلتم ذلك اهتديتم واهتدى الناس بكم، وحققتم أمل أمتكم والعالم الإسلامي فيكم".

أساليب الإقناع في خطبة الشيخ المراغي عن الأزهر دراسة بلاغية

يشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب الإيضاح بعد الإبهام.

المبحث الثاني: أسلوب التوكيد.

المبحث الثالث: أسلوب المقابلة.

المبحث الرابع: أسلوب الشرط.

المبحث الخامس: أسلوب الاقتباس.

المبحث السادس: أسلوب المذهب الكلامي.

المبحث الأول

أسلوب الإيضاح بعد الإبهام

أسلوب الإيضاح بعد الإبهام من أقوى الأساليب التي يتكأ عليها المتكلم عندما يروم إقناع المتلقي بما يريد؛ لقوة وتنوع الأثر المترتب عليه إذ يخاطب الجانب الوجداني بما يحدثه من إثارة وتشويق وترقب إلى معرفة كنه المبهم، ويخاطب الجانب العقلي بمنحه فرصة التأمل والتدبر، ولا يخفى ما يستلزم ذلك من تقرير المعنى، وتمكينه في النفس فضل تمكن.

الإبهام في اللغة: " الباء، والهاء، والميم" أصل يدور حول الخفاء، والغموض، والاستغلاق يقال: "طريق مبهم: إذا كان خفيًا لا يستبين"، و "استبهم الأمر: استغلق"(١).

الإيضاح في اللغة:" الواو، والضاد، والحاء" أصل يدور في فلك الظهور والبيان يقال:" وضح الشيء: بان وظهر"، و" توضح الطريق: استبان"(٢).

الإيضاح بعد الإبهام في اصطلاح البلاغيين: "أن يؤتى بكلام غير بين، ثم

---

(١)ينظر : لسان العرب، مادة(ب هـ م)

(٢)ينظر: لسان العرب، مادة (و ض ح).

يردف بما يدل على معناه دلالة بينة ظاهرة"[١] .

"والإبهام والخفاء الذي يعده العلماء مزية في لغة الشعر والأدب ليس هو الألغاز والتعمية، وإنما هو أن تستشرف المعنى الذي يلوح لك من بعيد وحوله غيوم بيضاء، أو تلفه أقنعة رقاق تخفي عنك منه جانبًا، وتبدي لك آخر فتظل مشغوفاً به مولعًا بالقرب منه مندفعًا إلى معرفته، وفي ذلك متعة الفن والأدب"[٢].

وتكمن قوة تأثير هذا الأسلوب في عرض المعنى في صورتين مختلفتين: إحداهما خفية مبهمة، والأخرى مبينة موضحة؛ إذ يحدث ذلك أثرًا متعددًا نحو:

١ – تقرير المعنى وتمكينه في النفس فضل تمكن، والمتلقي حين يلامس قلبه المعنى مرتين يكون علمه به أوثق وتمكنه منه أعظم؛ إذ المعنى إذا مهد له، ونبه إليه، وهيئ لتلقيه وقع في النفس، وقر في القلب، وترسخ في الأذهان[٣].

٢ – اكتمال لذة العلم به، فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة أخرى، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم[٤].

---

(١) علم المعاني، محمود توفيق ٢/ ١٨٣دار الكتب الجامعية، ١٤٢٤هـ.

(٢) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد أبو موسى،٣٥٢ مكتبة وهبة، ط السادسة، ٢٠٠٦م.

(٣) ينظر: التشويق في الحديث النبوي "طرقه وأغراضه"، بسيوني فيود ٥ مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٣م.

(٤) ينظر: الإيضاح ١٩٦

٣ – لا يخفى ما يحدثه ذلك من تفخيم وتعظيم، فالشيء إذا أضمر، ثم فسر كان أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار(١).

وقد جاء الإيضاح بعد الإبهام في صور متعددة منها:

التوشيع" (٢)، والتفسير (٣)، وعطف البيان بين المفردات(٤)، أو الجمل(٥)، والبدل(٦)، وحذف المفعول (٧)، وباب نعم وبئس(٨).

وقد اعتمد الخطيب هذا الأسلوب الذي يدفع المخاطب دفعًا حثيثًا إلى التجاوب والاقتناع في أكثر من موضع في نظم الخطبة؛ لأهمية القضية التي يناقشها، ودقة المعاني التي يطرحها إذ تحتاج إلى تأمل وتبصر، حيث قصد_ رضي الله عنه_ من خطبته كشف الغشاوة التي غطت أعين بعض الناس، وإزالة الأغاليط التي ترسخت في أذهانهم، فحالت بينهم وبين الإدراك الجيد لدور الأزهر؛ ومن ثم دعتهم إلى المجاهرة بتلك الدعاوي الباطلة التي تهاجم الأزهر، كما قصد بيان المبادئ الصحيحة ونشرها، وقد جاء ذلك في أربعة مواضع.

الموضع الأول :

مراعاة لعظم تأثير أسلوب الإيضاح بعد الإبهام في تحقيق إقناع المخاطب آثره الخطيب في مستهل حديثه عند عرض دعوى المتخوفين من تدخل

---

(١)ينظر: دلائل الإعجاز ١٣٢، والإيضاح ١٩٦.

(٢)ينظر: عروس الأفراح ٣/ (٢١٥: ٢١٦).

(٣) ينظر: البرهان ٣/ ٣٦، ومعترك الأقران ١/ ٢٧٣.

(٤)ينظر: البرهان ٤٦٢/٢.

(٥) ينظر: الإيضاح ١٥٧.

(٦)ينظر: البرهان ٢/ ٤٥٣.

(٧)ينظر: الإيضاح ١٠٩.

(٨) ينظر: الإيضاح (١٩٦: ١٩٧)

الأزهر في الحياة العامة في قوله: "هناك شيء ينبغي أن أذكره، وهو أن الناس في مصر يخشون خطر الأزهر على الحياة العامة" حيث أبهم في قوله: "هناك شيء ينبغي أن أذكره"، ثم وضحه بعد ذلك.

وإذا أنعم النظر في بناء هذا الأسلوب يتبدى التناغم والتعاضد بين أجزاء النظم مادة وبنية في إبراز أهمية هذا الأمر، وعظيم أثره؛ ولذا روعي في بناء الإبهام تقديم المسند "**هناك**" قصدًا للتشويق[١] مناجيًا فيهم جميع منافذ التأثير والإقناع، وفي ذلك مراعاة لحال المتكلم، ورغبته الملحة في توجيه الأذهان والمشاعر نحو ما يريد إيضاحه، فيكون محط اهتمامهم، وموضع عنايتهم ابتداءً، ولا يخفى ما يحمله بين طياته من قصد التفخيم لشأن هذا الأمر كيف لا وهو متعلق بأمور دينهم، وصحة معتقداتهم.

وقد عضد ذلك التعبير بقوله: "**شيء**"؛ لما يفيده من المبالغة في الإبهام، إذ "الشيء: أعم العام"[٢] ، وهذا يزيد من تشويقهم إلى معرفة كنه هذا الأمر، أعان على ذلك بناء اللفظ على التنكير؛ لما يقتضيه من التعظيم[٣]، عضد ذلك التعبير بقوله: "**أذكره**" لما تحويه دلالة المادة من الإشارة إلى رفعة شأن المذكور يقال: " الذكر: الشرف"[٤]، كما أنه يكون فيما هو ضروري[٥]، وهذا يزيد من تعلقهم بكشف اللثام عنه .

---

(١) ينظر: الإيضاح ١٠٤.

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكوفي، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري ٥٢٥ مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون.

(٣)ينظر: الإيضاح ٥١.

(٤)ينظر: لسان العرب، مادة (ذ ك ر).

(٥)ينظر: الفروق اللغوية أبو هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم٩٣ دار العلم والثقافة، القاهرة، بدون.

وقد لاءم ذلك التعبير بقوله: "**ينبغي**" إذ يظهر الخطيب في مظهر من كان همه كشف ما خفي، وإيضاح ما أبهم؛ لما في دلالة تلك المادة من معنى الطلب المصحوب بالإرادة والرغبة الشديدة في تحقيق المطلوب أخذًا من قولهم: "الباغي: الذي يطلب الشيء الضال"(١) ، كما أن فيها معنى الإعانة والتيسير أخذًا من قولهم: " أبغاه إياه: أعانه عليه"(٢) ، ناسب ذلك إيثار صيغة المضارعة من الفعل (**ابنغي**) التي تفيد المطاوعة(٣) .

وبعد أن أثار تلهفهم لتلقي هذا الخبر أثلج صدرهم بهذا الإيضاح الوارد في قوله: "**أن الناس في مصر يخشون خطر الأزهر على الحياة العامة**"، ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ جعل تبني تلك الدعوى من نصيب من لا يحسن التدبر والغوص في بواطن الأمور وحقائق الأشياء؛ ولذا آثر وصفهم بما يفيد التخبط والاضطراب "**الناس**" (٤)، وفي ذلك تهيئة للنفس بأن قولهم قابل للرد والدحض، وقد ناسب ذلك التخصيص المستفاد من القيد الوارد في قوله: "**في مصر**" إذ يشعر بأن اعتقادهم هذا مخالف لما استقر عليه إجماع أهل البلاد العربية والإسلامية من الاعتراف بفضل الأزهر في خدمة الدين، وأن مبادئه لا تتعارض مع نواميس الحياة العامة الصحيحة، ومن خالف ذلك أوقع نفسه في شرك الاضطراب.

ولما كان هذا الخطر عظيمًا في نفوسهم، وهم على يقين بما يؤرقهم بدليل إيضاحه بعد ذلك آثر التعبير بالخشية "**يخشون**"؛ لأن الخشية تكون من عظم

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ب غ ي).

(٢) ينظر: المرجع السابق

(٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب الرضي الاستراباذى، تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد محي الدين ١/ ١٠٨ دار الكتب العمية، بيروت، ١٩٧٥م.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (ن و س).

المخشي [١]، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى[٢] ، كما أن التعبير بالخشية مراعى فيه جانب آخر وهو الإشارة إلى أن ترقبهم وقلقهم متعلق بما يصدر عن الأزهر من إيضاح للتشريعات الإلهية؛ لأن الخشية تتعلق بمنزل المكروه[٣] فضلاً عن دلالته على تمكن ذلك الخوف منهم وسيطرته عليهم؛ لأن الخشية أشد من الخوف[٤] ؛ ولذا أوثر التعبير بالفعل المضارع مسندًا إلى ضمير الجمع "**يخشون**" للدلالة على تواصل هذه الخشية في نفوسهم، وتجددها بتجدد المقتضيات، وقد ضاعف ذلك أيضًا التعبير بالمصدر الدال على كمال الوصف[٥] في قوله: "**خطر**"، وإضافته إلى الأزهر لبيان أنه الينبوع لكل ما يقلقهم ناسب ذلك التعميم المستفاد من الوصف الوارد في قوله: "الحياة العامة"، وفي ذلك محاولة منهم لكسب الثقة بكلامهم؛ ومن ثم مساندتهم.

وقد حمل الإيضاح في طياته شيئًا من التشويق حيث أبهم الشيخ مظاهر الخطر التي اختلقها أولئك المتخوفون في قوله: "**يخشون خطر الأزهر**"، ثم وضح دعواهم في قوله: "**فهم يقولون: إن الأزهر إذا قوى واشتدت عزيمته يدخل في الحياة الاجتماعية فيكدر هذه الحياة**" ليأخذ بيد المتلقي إلى التفكير، ويتيح له فرصة المشاركة في إبراز بطلان تلك الدعوى، مراعيًا في بناء ذلك أيضًا الإيضاح بعد الإبهام حيث أبهم في قوله: "**فهم يقولون**"، ثم أتبع ذلك ببيان مكنون هذا القول.

---

(١) ينظر: الكليات ٤٢٨.

(٢) ينظر: التفسير الكبير، الرازي ٢/ ٤٠٧ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية ٢٤١.

(٤)ينظر: الكليات ٤٢٨.

(٥) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ٤/ ٤٣١.

وقد راعى الخطيب في بناء الإبهام إيثار التعبير بالجملة الاسمية، وتقديم المسند إليه(الفاعل) المقتضي إسناد الفعل إليه مرتين "**فهم يقولون**" لتأكيد انفرادهم [١] بتلك الافتراءات، وكأنها لا تتعداهم إلى من يملك مثقال ذرة من تدبر وتعقل؛ ولا يخفى ما في ذلك من التسفيه؛ ولذا آثر تعريف المسند إليه بضمير الغيبة "**هم**" تحقيرًا ، كما آثر التعبير بالقول دون غيره نحو الكلام "يقولون"؛ لأنه يقتضي ذكر المقول بعينه[٢] ، وكأنهم يتناقلونه نصًا دون أن يدعوا مجالاً للتدبر، ومن جانب آخر فإن في ذلك إظهارًا لرغبة الخطيب في نقل نص كلامهم المنبئ عن مكنون نفوسهم ليقيم الحجة على بطلانه بعد ذلك.

وقد ناسب ذلك التعبير بالفعل المضارع الذي يستلزم الدلالة على تجدد تعالى الصيحات بتلك الدعوى.

وبعد هذا التشويق المثير تلهفت النفس إلى بيان مضمون القول، فجاء البيان، وصادف منها موقعًا في قوله : "**إن الأزهر إذا قوي واشتدت عزيمته يدخل في الحياة الاجتماعية فيكدر هذه الحياة** ".

وقد بني الإيضاح على الفصل لما بين الجملتين من ترابط شديد – كمال اتصال – حيث نزلت الجملة الثانية من الجملة الأولى منزلة عطف البيان[٣]، وهذا يزيد من تعلق الذهن به.

ومما يكشف عن خبثهم ورود الإيضاح في صورة خبرية لانصراف همتهم إلى تقرير الدعوى، وبيان أنها متحققة ثابتة قاصدين من وراء ذلك إضفاء شيء من المصداقية على تلك الدعوى؛ ومن ثم تكون موضع رضا

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ١٢٨.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ق و ل).

(٣) ينظر: الإيضاح ١٥٧.

وقبول.

ومبالغة في الإقناع بدعواهم سلكوا أيضًا مسلك الإيضاح بعد الإبهام حيث أبهموا الأثر المترتب على قيام الأزهر بدوره في قوله:" **فيكدر هذه الحياة**"، ثم بينوا مظاهر ذلك في قوله: "**إذ يحظر حرية الفكر، ويقف حجر عثرة في طريق الأفكار العلمية الحرة، هذا من جهة ومن جهة أخرى يحرم الناس ملاذهم وشهواتهم**"، وقد اقتصروا على تلك المظاهر؛ لأنها متعلقة بتأثرهم بالثقافات الواردة في هذه الفترة من الغرب، والتي تدعو إلى تنحية الدين جانبًا لاسيما وقد سموا من تأثر بفكرهم علماء التنوير، ومن نهج نهجهم في الحياة الاجتماعية، واتخذ من ملبسهم ومشربهم ومأكلهم قدوة ومثلًا الطبقات الراقية؛ وبذلك نصبوا العداء لكل ما يحول بينهم وبين تحقيق مبتغاهم.

وقد اتخذوا من اللغة أداة لإبراز ذلك العداء، فبني النظم على المبالغة في التهويل من شأن خطر الأزهر، وبدا ذلك في طرفي النظم_ الإبهام والإيضاح – ومن دلائل ذلك:

الاستعانة بالاستعارة المكنية "التي لا يخفى أثرها في تحريك همة المستمع إلى الاقتناع بها"[(١)]؛ لاستلزامها إبراز المعنوي في صورة حسية في قوله: " **يحظر... يحرم الناس ملاذهم**"، بإسناد تلك الأفعال إلى الأزهر، حيث صورت الاستعارة الأزهر في صورة من يقف لهم بالمرصاد، ويسعى جاهدًا إلى التضييق عليهم؛ ومن ثم تكدير معيشتهم، ولا يخفى ما في ذلك من التأكيد والمبالغة[(٢)].

ضاعف ذلك الدقة في اختيار ألفاظ لا يخفى تأثير مدلولها في إحداث

---

(١) اللسان والميزان، طه عبد الرحمن ٣١٢ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢٧٤.

التهييج والإثارة؛ ومن ثم المؤازرة في دعوتهم لثقلها على النفس مثل قوله :" **يكدر**" مجازًا – على جهة الاستعارة – عما يلم بهم في الحياة من اضطراب، وعدم انتظام مجريات الأحداث، إذ الكدر – وهو ضد الصفاء(١) – من المعاني التي تنفر منها الطبائع، ولا تلقى لديها استحساناً.

وقوله:" **يحظر**" لما يستلزمه من الدلالة على المنع(٢)، وكذلك الشأن قوله: "**يحرم**" لما يستلزمه من الدلالة على التشديد في المنع(٣) سالكين مسلك الترقي في إبراز صور المنع أخذًا بيد المخاطب إلى التجاوب، هذا من جانب ومن جانب آخر متجاهلين ما وراء ذلك من خير ونفع.

ومن ذلك أيضًا التعبير بقوله: " **ملاذهم، وشهواتهم**"؛ إذ الشهوة :حركة للنفس طلبًا للملائم الذي يلذ ويسر"(٤)، واللذة: إدراك الملائم من حيث إنه ملائم كطعم الحلاوة عند حاسة الذوق، وهي متعة من متع الحياة وعلى الأخص في مجال الحواس(٥).

وقد روعي في الجمع بينهما إطلاق الحكم؛ ومن ثم يتسلط المنع على مجرد التفكير فيما هو محبب إليهم.

كما روعي في إيثار صيغة الجمع التنوع؛ ليندرج تحت ذلك جميع ما يشتهى ويلذ على اختلاف صوره قاصدين من وراء ذلك التماس العذر في المقاومة والتصدي، وجلب تعاطف غيرهم ومشاركتهم.

---

(١)ينظر: لسان العرب، مادة (ك د ر).

(٢)ينظر: لسان العرب، مادة (ح ظ ر).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (ح ر م).

(٤)ينظر: الفروق اللغوية ١٢١ ، والتعريفات ١٢٩.

(٥)ينظر: التعريفات ١٩١، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ٢٠٠٥ .

الموضع الثاني :

لما كان من أهداف الخطبة تصحيح الأفكار الخاطئة التي تعالت بها صيحات المتخوفين من قيام الأزهر بدوره نصب الخطيب نفسه مدافعًا عن مبادئ الأزهر القويمة، والتي منها النفور عن كل شيء من شأنه إضعاف الأمة المسلمة، والتقليل من شأنها، وهذا أمر دقيق في نفسه يحتاج إلى تدبر؛ ولذا سلك الخطيب في عرض معناه مسلك الإيضاح بعد الإبهام في قوله : " **لكن الأزهر يكره شيئًا واحدًا هو تعمد الاستهزاء بالدين، وتعمد الاستهزاء بالأنبياء، وتعمد الاستهزاء بأمة المسلمين**"؛ إذ "في عرض المعنى في صورتين إدراك الشيء على حقيقته، والإحاطة بجوانبه بتكرار العلم به على منهاجين: الأول يحقق ضربًا من العلم بالحقيقة، والآخر: يحقق ضربًا من العلم بجوانبه وخصائصه"(١).

وقد جاء بناء الإبهام على وجه يجعل الأذهان منصرفة إليه متعلقة به لعظم شأنه؛ ولذا آثر تأكيد النظم بحرف الاستدراك "**لكن**" الذي يفيد نسبة حكم لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها(٢) حيث نفي في الكلام السابق أن الأزهر يكره حرية الرأي والآراء العلمية في قوله: "**فليس الأزهر من المعاهد التي تكره حرية الرأي والآراء العلمية**"، ثم أثبت هنا ما يكرهه، ولا يخفي ما في ذلك من تسليط الضوء على ما يليها، وكأنه هو المقصود ومحور الكلام.

كذلك روعي في بناء النظم الأسلوب الخبري الذي يضفي عليه سمت التقرير إذ يعرضه في معرض الثابت المحقق.

ولما كان هذا الموقف منبئًا عن التفكير السديد، والاعتقاد الصحيح أوثر

---

(١) علم المعاني، محمود توفيق ٢/ ١٨٤.

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعني، المرادي، تحقيق فخر الدين قباه، ومحمد نديم ٦١٥ دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة، ١٩٩٢م.

التعبير بقوله: "**يكره**"؛ لأن الكره يقتضي عدم الرضا(١)، وهو يتحقق عند وجود مخالفة لا يقبلها عقل أو شعور، وهذا يتوافق مع طبيعة ما عرض لاحقًا من مظاهر الاستهزاء والتشكيك.

ومبالغة في إبراز شدة النفور والكراهية استعان الخطيب بالاستعارة المكنية في قوله:" **الأزهر يكره**"، والتي جسدت الأزهر في صورة كائن حي يشعر ويستجيب للمؤثرات، وقد عضد ذلك التعبير بصيغة المضارعة" **يكره**" لقصد إبراز تجدد هذا الموقف بتجدد ما يقتضيه دون أن يقتصر على زمان معين أو مكان محدد أو أشخاص بعينهم.

وقد ناسب مقام الإبهام التعبير بكلمة "**شيء**"، وتنكيرها قصدًا لتفخيم هذا الشأن لأهميته في تصحيح مسار اعتقاد بعض الناس.

ووفقًا لمقتضيات الطبيعة البشرية تتشوق النفس البشرية إلى معرفة ما هو موضع نفور الأزهر، ووفاءً بحقها أتى الإيضاح في قوله: "**هو تعمد الاستهزاء بالدين، وتعمد الاستهزاء بالأنبياء، وتعمد الاستهزاء بأمة المسلمين**".

وقد روعي في بناء الإيضاح _ عند عرض مظاهر الاستهزاء_ الجمع بإشراك أكثر من شيء في حكم واحد(٢)، وجاء على سبيل الاتصال بحرف العطف إشارة إلى استقلال كل مظهر بكونه موضع نفور وكراهية، وقد روعي عند عرض مظاهر الاستهزاء مع الجمع صحة التقسيم المبني على استيفاء جميع الأجزاء(٣)، حيث جمع قوام بناء الأمة المسلمة الدين الذي يصل بواسطة الأنبياء إلى أمة المسلمين.

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ك ر هـ).

(٢) ينظر: الإيضاح ٣٦٨.

(٣) ينظر: الإيضاح ٣٧٢.

وجاء ترتيب تلك المظاهر على نسق طريف بني على مراعاة الرتبة حيث ابتدأ بذكر تعمد الاستهزاء بالدين؛ لأنه سبيل الوصول إلى الغاية التي من أجلها خلق الإنسان، والتي تتمثل في عبادة الله كما قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [١]، ثم ثنى بكراهية تعمد الاستهزاء بالأنبياء الذين هم الواسطة بين الله_ تعالى _ وبين خلقه يأتي على أيديهم إيضاح مبادئ الدين التي تضمن لهم السعادة والهناءة، ودفاعًا عن الهوية الإسلامية أعقب ذلك بالإشارة إلى تعمد الاستهزاء بأمة المسلمين.

ومبالغة في إيضاح كراهية الأزهر لهذا الأمر قرن به الأثر المترتب عليه، وهو التشكيك في الثوابت الدينية لدى العامة والنشء في قوله: "**ويكره أن يشكك العامة في دينهم، وأن يشكك النشء في عقائدهم**"؛ لخطورة الأثر المترتب عليه من زعزعة الأمة، وفرقة صفها.

ولشدة تعالق النظم بما قبله بني على الوصل بالواو لقصد التشريك في الحكم[٢]،وقد اقتصر الخطيب على ذكر الطوائف التي تلقى دعوى الأعداء لها آذانًا صاغية، فتنتشر فيهم انتشار النار في الهشيم؛ لأن كليهما يفتقد عوامل المقاومة لهذا الغزو الديني، وهي المعرفة الصحيحة بأمور دينهم إما للجهل كما هو الحال مع العامة[٣]، وإما لصغر السن والاستعداد التام للتأثر بغيره كما هو الحال مع النشء؛ إذ النشء: الحدث الذي جاوز حد الصغر، والنشوء يشمل مرحلة الوجود ومرحلة النمو إلى قرب تمام القوى بدليل قولهم :" نشأ في بني فلان: كبر وشب"[٤]، وفي ذلك تعريض بأن هؤلاء أولى بأن

---

(١) سورة الذاريات الآية: (٥٦).

(٢) ينظر: الإيضاح ١٥١.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (أ م م).

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (ن ش أ).

تنصرف الهمم إليهم بالرعاية، ونضع نصب أعيننا ترسيخ العقيدة الصحيحة في أذهانهم لا أن يشككوا فيما لديهم.

وقد روعي في ترتيب ذكرهم تقديم من هم أكثر تأثرًا واستجابة.

وقد اتخذ الخطيب من اللغة أداة معينة على إبراز سوء طوية الأعداء، والإقناع بأن هذا الأمر جدير بالنفور من ذلك إيثار التعبير بقوله:" **يشكك**"، إذ الشك: وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر(١)، وهذا يجعلهم عرضة للتخبط والصراع الفكري، ويصيرهم حيارى كالريشة في مهب الرياح، فلا يكون أمامهم سوى الرجوع إليهم؛ ومن ثم يصبحون أرضًا خصبة تترعرع فيها أفكارهم، وشبهاتهم الهادمة لثوابت الدين.

وتتجلى دقة الخطيب في حسن اختيار القيد – الجار والمجرور – حيث جعل محور تشكيك العامة "**في دينهم**"، وهو ما يذهب إليه الإنسان، ويعتقد أنه يقربه إلى الله(٢)، وهو يشمل بذلك الأقوال والأفعال وكل مظاهر الطاعة لمعبودهم(٣).

وجعل محور تشكيك النشء "**في عقائدهم**"، والعقيدة: "العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسب من أدلتها اليقينية"(٤)، وهي تستلزم الاعتقاد دون العمل(٥)، وهذا يتناسب مع صغر سنهم.

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٩٩.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية٢٢٠.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (د ي ن).

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني ٦/١، دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٥) ينظر: المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق عبد الرحمن عميرة ١/ ٣٣ دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٧م.

ولكون هذا الأمر مرفوضًا على إطلاقه أوثر التعبير بالمصدر المؤول "**أن يُشكك**"، وبني الفعل للمجهول دلالة على كراهية ذلك الأمر بأي صورة ومن أي فاعل.

الموضع الثالث :

لجأ الخطيب إلى اتخاذ بناء النظم على الإيضاح بعد الإبهام سبيلًا إلى الإقناع في مقام التوجيه والإرشاد عند بيان الدور المنوط به طلاب الأزهر، ومن ينتسب إليه في قوله: "**إن الذي يجب عليكم هو أن تفهموا دينكم حق الفهم، وأن تعرضوه على الناس عرضًا صحيحا وألا تبقوا فيه تلك الإضافات التي أضيفت إليه وكرهت بعض الناس فيه**"، ولا يخفى ما في ذلك من وأد بذور الفتن والشبهات قبل بزوغها.

مما تجدر الإشارة إليه ابتداءً أن الخطيب وضع نصب عينيه أهمية هذا الأمر، وعظم الأثر المترتب عليه، فحاول جاهدًا تهيئة المخاطب الأزهري تهيئة تامة قبل أن يملي على سمعه ما يريد سالكًا مسلك الملاطفة واللين؛ ليكون ذلك أدعى إلى تقبلهم وامتثالهم؛ ولذا مهد بالتوطئة المؤكدة في قوله: "**إن للناس فيكم أيها الأزهريون آمالًا في مصر وفي غير مصر، والحياة الإسلامية تنتعش في هذا الوقت في الأمة المصرية وغيرها، وهذا الانتعاش يحتاج إلى عناية ورقابة وتدبر وتبصر**" مؤثرًا مخاطبتهم بأسلوب النداء لاسيما أداته " **أيها**" لقصد المبالغة في التنبيه(١)، ضاعف ذلك النداء بالوصف المشعر بالدور الواجب عليهم "**الأزهريون**"، كما نبههم إلى كون هذا الأمر محور تحول في حياة الأمة؛ ومن ثم يحتاج إلى وعي شديد، وفكر ثاقب، وجهد مكثف.

---

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش ١/ ٣٦١ دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠١م.

وقد كان الخطيب حريصًا على شحذ همتهم، وإثارة بواعث الاستجابة لديهم، فراعى في بناء الإبهام في قوله: "**إن الذي يجب عليكم**" ما يجعله محور اهتمامهم، وقد تعاضدت أجزاء النظم مادة وبنية على إبراز ذلك، ومن مظاهر ذلك بناء النظم على التوكيد تقريرًا له، كما أن هذا التوكيد يعكس تمكن هذا المعنى في نفسه وانفعاله به، ورغبته الملحة في نقل هذا الشعور إليهم(١)؛ ولذا آثر أداة التوكيد " **إن** " التي هي بمنزلة تكرير الجملة مرتين(٢)، ومن جانب آخر فإن "التوكيد بها يفيد تقوية النسبة بين المسند والمسند إليه، وتقريرها في ذهن السامع"(٣)،كذلك آثر التوكيد بالجملة الاسمية التي تستلزم الدلالة على الثبوت والاستمرار(٤).

ومن شواهد ذلك _أيضًا_ تعريف المسند إليه بالموصولية في قوله : " **الذي** " تعظيمًا وتفخيمًا لشأنه(٥)؛ لأهميته إذ ما يقومون به من مظاهر الإصلاح الديني التي يترتب عليها تغيير مسار أمة بأسرها، كما أنه من مظاهر الحفاظ على الهوية الإسلامية بين الأمم ناسب ذلك التعبير بما يقتضي الثبوت واللزوم "**يجب**"(٦)، وكأن هذا الواجب هو المنوط بهم في هذه الحياة، وقد عضد ذلك إيثار التعبير بحرف الاستعلاء " **على**" المشعر بالإلزام متصلًا بضمير الخطاب في قوله: "**عليكم**".

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب ٩٨.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢١٩/٣.

(٣) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان الشافعي ٣٩٨/١ دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٤) ينظر : الإيضاح ١٠٢.

(٥) ينظر: المرجع السابق .٤٣.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (و ج ب) .

وبعد أن أثار تلهفهم وتشوقهم إلى معرفة كنه هذا الواجب أثلج صدرهم بهذا الإيضاح الوارد في قوله: "**هو أن تفهموا دينكم حق الفهم، وأن تعرضوه على الناس عرضًا صحيحا وألا تبقوا فيه تلك الإضافات التي أضيفت إليه وكرهت بعض الناس فيه**"، ولما كان هذا الأمر له طبيعة خاصة لا يوفيه حقه إلا من توفرت فيه مقومات معينة كالفراسة، والحنكة، والذكاء، والبصيرة، والحس المرهف، وحسن البيان، ودقة التعبير استثار الخطيب فيهم بواعث التفكير العقلي والوجداني ليقوموا بهذا الواجب على الوجه الذي يتلاقى مع مقتضيات العقل وسلامة الفطرة؛ ولذا آثر الخطيب ألفاظًا وتراكيب محددة تعين على تحقيق ما يرمي إليه من ذلك إيثار التعبير بالفهم عند الإشارة إلى ضرورة معرفة مبادئ الدين في قوله: "**أن تفهموا**"؛ لأنه قصد أن تكون معرفة على وجه خاص تشمل كل ما دق وخفي من أصول الدين وفروعه، معرفة تجمع بين ما يدرك بالعقل وما يدرك بالشعور(١)؛ ولذا أكد ذلك بقوله: "**حق الفهم**"، وعزفًا على الوتر الوجداني أضاف لفظ الدين إلى ضمير الخطاب في قوله: "**دينكم**" تحفيزًا لهم، وترغيبًا في الاهتمام بالأمر.

وكذلك الشأن عند تكليفهم بإيضاح تلك المبادئ حيث راعى أن يكون إيضاحًا تامًا لا لبس فيه ولا خفاء على وجه يتلاقى مع مراعاة الفروق الفردية بين الناس؛ ولذا استعان الخطيب بالاستعارة التصريحية التبعية في قوله:" **تعرضوه**"؛ إذ العرض يقتضى رؤية الشيء رؤية واضحة تامة تمكن من معرفة أحواله(٢)، وإتمامًا لذلك أكده بالمصدر الوارد في قوله: "**عرضًا**"، ووصفه بما يستلزم التتبع الدقيق، والخلو من العيوب والنقص في قوله : " **صحيحا**"(٣).

---

(١) ينظر لسان العرب، مادة (ف هـ م) .

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ع ر ض) .

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (ص ح ح).

ثم أعقب ذلك بضرورة تنقيح تلك العلوم الدينية من كل ما ألصق بها، وكان سببًا في تجرؤ الجهال على الدين، ونسبة ما لا يليق به إليه؛ ولذا آثر نفي الإبقاء في قوله:" **ألا تبقوا**"؛ لما يقتضيه من الدلالة على الإزالة التامة(١)، ولكي يقنعهم بأن تلك الأمور دخيلة على الدين، ويثبت براءته منها آثر وسمها بـــ " **الإضافات**"، وهذا مستفاد من قولهم:" المضاف: ما نسب إلى القوم وليس منهم"(٢)، وشحذًا لهمتهم أتي التوكيد في قوله:" **التي أضيفت إليه**" متمكنًا في موضعه، قارًا في مكانه، وقد لاءم ذلك التعريف باسم الموصول في قوله:" **التي**" تقريرًا للغرض المسوق له الكلام(٣) وهو تبرئة الدين منها، وهذا يحمل في طياته من التنفير ما لا يخفى، ضاعف ذلك بناء الفعل للمجهول بهذه البنية" **أضيفت**"، ومبالغة في التنفير قرن ذلك بالأثر المترتب عليها في قوله: "**وكرهت بعض الناس فيه**".

وقد راعى الخطيب في بناء الإيضاح الوصل بين الجمل للتناسب القائم بينها إذ جميعها مشتركة في كونها من جملة الواجب، كذلك راعى أيضًا التعبير بالأسلوب الخبري انسجامًا مع ما رمى إليه من تأسيس وتعليم بإبراز ما عرضه في صورة الثابت المحقق، وتحقيقًا لهذا الواجب على أتم وجه آثر التعبير بالمصدر المؤول من "أن والفعل" إثباتًا ونفيًا في قوله:" **أن تفهموا، وأن تعرضوه، وألا تبقوا** "؛ ليتم المطلوب بأي وجه كان.

الموضع الرابع :

اتخذ الخطيب من بناء النظم على الإيضاح بعد الإبهام متكأً وسندًا عند بيان المصادر الصحيحة التي يجب أن يستقي منها المسلم مبادئ الدين في

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ب ق ي) .

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ض ي ف).

(٣) ينظر: الإيضاح ٤٢.

قوله: " **خذوه من الينابيع الصحيحة، خذوه من الكتاب، والسنة، وآراء السلف الصالح من الأئمة** " قاصدًا من وراء ذلك الترغيب في سلوك هذا المسلك، وقد تعاضدت أجزاء النظم لتحقيق تلك الغاية، وتبدى ذلك جليًا في إيثار التعبير بقوله:" **خذوه**"؛ لما تحويه دلالة المادة من الإشارة إلى التمكن من المأخوذ [١]، وما ذلك إلا لوضوحه، ويسر الحصول عليه فضلًا عن الرغبة الملحة التي تدفعهم دفعًا؛ ولذا أوثر تلك البنية دون قوله: "**اتخذوه**" التي تقتضي التكلف والمشقة في التحصيل من منطلق أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى[٢]، وقد ناسب ذلك التعبير بالأمر الصريح؛ لكونه أدعى إلى الإجابة.

ومن دلائل ذلك إيثار التعبير بقوله:" **الينابيع**" و"الينبوع: العين الذي يخرج منه الماء"[٣]، وهذا يستلزم الإشارة إلى مصدره الأصلي يقال" ينبوعه: متفجره"[٤]؛ ليدفع بذلك أدنى مشاركة من غيره، كما تحوي دلالة المادة الإشارة إلى كون تلك المصادر موطن خير وصلاح، وهذا مستفاد من قولهم:" الينبوع: الجدول الكثير الماء"[٥]، ومن كان هذا شأنه فهو أولى بالأخذ منه حيث يجد فيه المرء ضالته على اختلاف مقتضيات الأحوال في كل زمان ومكان.

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (أ خ ذ).

(٢) ينظر: الخصائص، ابن جني ٣/ ٢٧١ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الرابعة، بدون.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان ٧٨٨ ، دار القلم، دمشق، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (ن ب ع).

(٥) المرجع السابق.

وقد أتى الوصف بقوله:" **الصحيحة**" متمكنًا في موضعه؛ لاستلزامه الإشارة إلى براءتها من العيوب والنقص، واتساع جزئياتها المبنية على التتبع الدقيق(١) ، وموافقتها لنواميس الحياة في شتى صورها، وهذا يقتضي استبعاد أدنى تحريف تمليه الأهواء، وتحكمه المتغيرات.

ولما كان التعبير بالجمع في قوله:" **ينابيع**" يقتضي التعدد والإبهام عمد الخطيب إلى بيان تلك المصادر في قوله:" **خذوه من الكتاب، والسنة، وآراء السلف الصالح من الأئمة** " .

ومبالغة في ترغيبهم في سلوك هذا المسلك أكده بتكرار الفعل في قوله:" **خذوه**" مؤثرًا التعبير عن المصدر الأول – القرآن الكريم – بـــ" **الكتاب**"؛ لأنه روعي فيه معنى الثبات والوجوب والتوثيق(٢)، وهذا يقتضي ثبوت ما جاء فيه؛ ومن ثم تكسب النفس طمأنينة وقبولًا عند الأخذ منه.

وجاء التعبير عن المصدر الثاني بقوله:" **السنة** "وهي "ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير"(٣) قصدً للاستيفاء، ومما تجدر الإشارة إليه أن الخطيب استقى ذلك من قول النبي: "إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي "(٤)، ثم أتبع ذلك بذكر المصدر الثالث " **آراء السلف الصالح من الأئمة**" ، وهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعون الذين كانوا قبل القرون الثلاثة من الهجرة، العلماء العدول الوارثون عن رسول الله

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ص ح ح).

(٢) ينظر: المفردات ٦٩٩.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، تحقيق سيد الجميلي ١/ ١٢٣ ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤ هـــ.

(٤) المستدرك على الصحيحين الحاكم ابن البيع، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ١٧٢/١ دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٠م.

الحقائق والمعاف والعقائد، وأمثالهم من علماء الإسلام وتلامذتهم وأتباعهم في عصرهم ومن بعدهم وعليه الكثير من العلماء وأتباعهم إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله [١].وقد روعي في ترتيب تلك المصادر التدرج الرتبي بتقديم ما هو الأولى في الأخذ منه ثم ما يليه.

(١) ينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، البيجوري ١٥٦، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

المبحث الثاني

أسلوب التوكيد

أسلوب التوكيد من الأساليب التي يجنح إليها المتكلم تقريرًا لكلامه، ودفعًا للشك فيه؛ ومن ثم يقوى أثره في النفس فيقتنع خالي الذهن، ويُرد المخالف، وهو أسلوب قائم على مراعاة حال المتكلم والمخاطب على حد سواء؛ إذ يأتي انعكاسًا لتمكن المعنى في نفس المتكلم، أو إنكار المعنى في نفس المخاطب.

التوكيد في اللغة: " الواو، والكاف، والدال" أصل يدور حول التوثيق، والتقرير، والتمكين، والثبات يقال:" أكد الشيء: قرره"، و" وكد بالمكان: إذا أقام فيه"(١) .

التوكيد في اصطلاح البلاغيين: "تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإحاطة الشبهات عما أنت بصدده"(٢).

ويرد التوكيد لدواع متعددة مثل: التعظيم، والتهويل، وقصد تحقيق الخبر، وقصد الإعلام بأن المخبر به كله من عند المتكلم، وإغاظة السامع بذلك الخبر، والتعريض بأمر آخر(٣)؛ ومن ثم يرد في مقامات معينة نحو الإنكار، والترغيب، والنصح والإرشاد، والتهديد(٤).

ويتحقق التوكيد من خلال أساليب وأدوات متعددة ومتنوعة مثل: أسلوب القصر(٥) ، والتذييل(٦)، وكمال الاتصال(٧)، والتكرار (٨).

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (و ك د).

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي ٩٤/٢ المكتبة العصرية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٣) ينظر: الإتقان ٣/ ٢١٩.

(٤)ينظر: دلائل الإعجاز (٢٢٥: ٢٢٧)، وخصائص التراكيب (٩٠: ٩٩).

(٥) مفتاح العلوم١٤٠.

(٦) ينظر: الإيضاح (٢٠٠: ٢٠١).

(٧) ينظر: الإيضاح (١٥٥: ١٥٦).

(٨) ينظر: المثل السائر ٣/ (٣: ٤)، و الإيضاح ١٩٨.

ويأتي التأكيد غاية لكثير من الأساليب نحو: التشبيه[١]، والاستعارة[٢]، والكناية[٣]،البدل[٤] ، إلى غير ذلك من الأساليب.

كما يرد التأكيد بين المفردات كالتأكيد بـــ" نفس، وعين، و كل، وجميع، وكلا وكلتا، وعامة[٥]، والتأكيد المعنوي بين المفردات كعطف المترادفين[٦].

واستجابة لما يحدثه أسلوب التوكيد من مردود نفسي لا يخفى أثره في تحقيق الإقناع وظفه الخطيب توظيفًا دقيقًا في نظم الخطبة؛ ومن ثم تعددت مواضع وروده حيث ورد في خمسة مواضع:

الموضع الأول :

اتخذ المتخوفون من قيام الأزهر بدوره من التوكيد سلاحًا عند عرض حجتهم التي جاءت على لسانهم في قوله: "**إن الأزهر إذا قوي واشتدت عزيمته، يدخل في الحياة الاجتماعية**" مستفتحين عرض الدعوى ببناء النظم على التأكيد بـــ" إن واسمية الجملة" توثيقًا لها لتجد بذلك آذانًا صاغية؛ ومن ثم قبولًا واقتناعًا؛ لأنهم على يقين أن تعالي الصيحات بهذه الدعوى التي تصطدم مع أعراف الناس، ومبادئهم الدينية سيقابل بالرفض والمقاومة؛ ولذا آثروا أداة التوكيد" **إن**" التي تفيد" تقوية النسبة بين المسند والمسند إليه، وتقريرها في ذهن السامع"[٧] ، كما آثر التوكيد بالجملة الاسمية التي تفيد

---

(١) ينظر: الصناعتين ٢٤٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢٧٤.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز ٧٢.

(٤) ينظر: البرهان ٢/ ٤٥٤.

(٥) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك الأشموني ٢/(٣٣٤: ٣٣٧) دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٨م.

(٦) ينظر: البرهان ٢/ ٤٧٢.

(٧) حاشية الصبان ٣٩٨/١ .

الثبوت والاستمرار..

ولما غلب عليهم سلطان الهوى، والتأثر بالثقافات المنفتحة التي لا تسير في كنف ضابط معين أعلنوا تخوفهم من سيطرة الأزهر على الحياة الفكرية على وجه مؤكد في قوله:" **إذ يحظر حرية الفكر، ويقف حجر عثرة في طريق الأفكار العلمية الحرة**" متخذين من التوكيد المعنوي سبيلًا لتقرير أن الأزهر مصدر إعاقة لحرية الفكر والإبداع مستعينين باللغة أداة للتأثير من ذلك الطباق الوارد بين قوله:" **يحظر، والحرة**" لإبراز التعارض الشديد بين مبادئ الأزهر، وحركة الفكر التي تسير على هدي من التحرر المطلق قاصدين من وراء ذلك رميه بالتخلف والجمود؛ لاقتضاء التعبير بالحظر معنى التضييق والتقييد(١)، والذي يتنافى مع معنى الإرسال والإطلاق المستفاد من التعبير بقوله: "**الحرة**"(٢)، وكأن الطرفين يسيران في طريقين متقابلين لا يلتقيان.

وقد وفقوا في فتح أفق جديد لجذب انتباه المتلقي بإيثار التعبير بالاستعارة المكنية في قوله: "**يحظر حرية الفكر**"، والتي جسدت الأزهر بسد منيع يعوق التقدم الفكري، جامعين بذلك بين التأثير السمعي والبصري، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من تضاعف الأثر.

ومبالغة في الأمر أكدوا ذلك بقولهم :"**ويقف حجر عثرة في طريق الأفكار العلمية الحرة**" ترقيًا في إبراز التخوف والرفض مستهدفين من وراء ذلك استجماع سبل الإعاقة المباشرة وغير المباشرة.

وقد اقتضى ذلك إيثار التعبير بالكناية التي لا ينكر أثرها القوي في استدراج المخاطب نحو الاقتناع والتسليم، وعدم إتاحة الفرصة للاعتراض إذ

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ح ظ ر).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ح ر ر).

تعطي المعنى مصحوبًا بالدليل في قوله: "**ويقف حجر عثرة في طريق الأفكار**... "، وكأنهم بذلك يدللون على صدق ما ذهبوا إليه، وهذا يزيد من التنفير والمواجهة.

وعضدوا ذلك بالتعبير بالفعل المضارع الذي يقتضي الدلالة على التجدد، وهذا يشعر بأن الإعاقة تتجدد بتجدد مقتضيات الأحداث، ومن جهة أخرى يشعر بالتفنن في صور الرفض، والمقاومة.

الموضع الثاني :

يسير الخطيب وفق النهج السابق فيتخذ من التوكيد أداة لجعل المخاطب متفاعلًا معه مشاركًا في تفنيد دعوى أن الأزهر مصدر إعاقة للآراء العلمية، بالإشارة إلى بعض مظاهر إقراره لها في قوله: " **أما الآراء العلمية في حدود العلم وفي دائرته فإنها تدرس في المعاهد الكبرى دون أن يخطر للأزهر ببال أن يقاومها، أو يكون حجر عثرة في سبيلها**".

وقد راعى الشيخ المبالغة في تأكيد هذا الرد كيف لا وهو المتحدث بلسان المسلمين، فأكد دليل إقرار الأزهر لها بـــ" إن ، واسمية الجملة " في قوله : " **فإنها تدرس في المعاهد الكبرى دون أن يخطر للأزهر ببال أن يقاومها**" ، ثم أكد ذلك بنفي المقاومة متخذًا من التوكيد المعنوي خير معين "**دون أن يخطر للأزهر ببال أن يقاومها**" نافيًا مجرد التفكير، وهذا يستلزم قطعًا صدور الفعل مؤثرًا التعبير بالمصدر المؤول "**أن يقاومها**" الذي يقتضي نفي أدنى تصور للمعارضة أو المقاومة.

واستجابة لسيطرة فكرة تصحيح هذا الاعتقاد الخاطئ ترقى الخطيب في عرض المعنى، حيث عرضه عرضًا قائمًا على استدراج المخاطب إلى التسليم والإذعان، ووصد الباب أمام أي زعزعة أو إنكار، فأكد المعنى بصورة أدق متخذًا من الكناية مسلكًا في قوله: "**أو يكون حجرة عثرة في**

سبيلها"؛ لينفي وجود المقاومة بصورها المباشرة وغير المباشرة، وبهذا البناء يساير الخطيب نهج بناء عرض الدعوى على جهة التقابل.

وتتجلى دقة الخطيب البلاغية المنبئة عن وعي دقيق وحس مرهف في حسن اختيار الألفاظ المتمكنة في موضعها الأخص بها عندما آثر التعبير بالسبيل في قوله:" **أو يكون حجرة عثرة في سبيلها**"، مغايرًا في ذلك التعبير الوارد في قوله على لسان المتخوفين :" ويقف حجر عثرة في طريق الأفكار العلمية الحرة" مؤثرين التعبير بالطريق؛ لأن الخطيب قصد المبالغة في نفي تصور أدنى إعاقة إذ السبيل: هو الطريق المذلل الذي فيه سهولة(١)، ومن كان هذا شأنه يصعب معه تحقق إعاقة.

الموضع الثالث :

اتكأ الخطيب على أسلوب التوكيد عندما أراد أن يرسخ في الأذهان سماحة الدين الإسلامي في تعامله مع المخالف في قوله: " **والإسلام بطبيعته دين تسامح، ومبادئه لم تعترف بالإكراه** " حيث عمد الخطيب إلى منح المتلقي فرصة التفكير والتدبر ليقر على إثر ذلك بما يريد، وقد استوجب ذلك أن تتنوع طرائق التوكيد، فيطالعنا تأكيد النظم بالجملة الاسمية التي تضفي عليه معنى الثبوت والدوام (٢) في قوله: "**والإسلام بطبيعته دين تسامح**"، وقد كان الخطيب دقيقًا في عرض معناه حيث ابتدأ بإطلاق الحكم بسماحة الدين، و تعاضدت أجزاء النظم مادة وبنية على إبراز ذلك فأتى الاعتراض بالجار والمجرور بين المبتدأ والخبر في قوله: "**بطبيعته**" متمكنًا في موضعه؛ لتقرير أن هذا التسامح متأصل في كل ما يصدر عنه لا ينفك عنه، ولا يخفى ما في

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، ٣٩٥، ولسان العرب، مادة (س ب ل).

(٢) ينظر: الإيضاح ١٠٢.

ذلك من التأكيد[١] أعان على ذلك التعبير بـــ **(الباء)** لإرادة الإلصاق[٢]، كذلك أتت الإضافة في موضعها الأخص الأشكل بها "**دين تسامح**"، وكأن الدين الإسلامي لا يُعرف إلا بذلك.

وتقريرًا لأصالة هذا التسامح أكد المعنى بنفي ما يقابله في قوله: "**ومبادئه لم تعترف بالإكراه**" ليعطي للمتلقي فرصة تصور الضدين، وبذلك يدفع أدنى تصور للإكراه، كما أن هذا التغاير في التعبير يزيد من وقع التأثير، وقد لاءم ذلك إيثار النفي بـــ " **لم**" التي ترد لنفي وقوع الفعل في الماضي[٣] تعضيدًا لملازمة ذلك له منذ بزوغه، ويتجلى دور الاستعارة المكنية في تقرير المعنى حيث جسدت المبادئ في صورة حسية يصدر عنها الرفض في قوله: "**ومبادئه لم تعترف...**".

وترقيًا في التوكيد عرض النظم بعض المظاهر التي تؤكد سماحة هذا الدين في قوله: " **وقد حمى الإسلام أديانًا تخالفه** " حيث تعايش الإسلام مع كثير من الأديان تصديقًا لقوله تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[٤] نحو ما كان من تعايش المسلمين مع اليهود في المدينة، وهنا في مصر نجد التعايش بين المسلمين والمسيحيين واضحًا جليًا؛ ولذا أوثر التعبير بصيغة الجمع وتنكيرها في قوله: "**أديانًا**"؛ لإفادة الكثرة والتنويع، وقد أتت الاستعارة المكنية في قوله: "**حمى الإسلام**" لتدل على أن تلك المعايشة لها طابع خاص إذ لا تقف عند حد التعايش السلمي، وإنما تتجاوز ذلك إلى حد الحماية والدفاع.

---

(١) ينظر: الإيضاح ٢٠٦.

(٢) ينظر: المقتضب، للمبرد، ت/ محمد عبد الخالق عضيمة ١/ ٣٩، عالم الكتب، بيروت، بدون.

(٣) ينظر: المقتضب، ١/ ٤٦.

(٤) سورة الكافرون الآية: (٦) .

ودفعًا لأدنى ريب في ذلك بني النظم على التأكيد بحرف التحقيق (قد) المنصرفة لتأكيد وقوع الحدث[1]، والفعل الماضي الدال على تحقق وقوع الفعل، وهذا الموقف يصدقه الواقع في الزمن الماضي، والزمن الحاضر والمستقبل – بإذن الله – لثبات تلك المبادئ.

ثم ترقى النظم فأكد المعنى بمظهر أوضح دلالة في قوله: "**وحمي علماء الإسلام مذاهب غير صحيحة** "، ولعظم أثره في إقناع المتلقي بني النظم على التأكيد بتكرار الفعل "**حمى**" دلالة على أن هذا المظهر كفيل بتحقيق المقصود، كما أن في ذلك تأكيدًا لإعلان هذا الموقف، لاءم ذلك التعبير بصيغة الجمع في قوله: "علماء، ومذاهب" إشارة إلى أن ذلك الموقف لا يتوقف عند حد عالم بعينه، أو مذهب خاص، ثم قرر هذا المعنى بالتوكيد الوارد في قوله: "**وبقيت هذه المذاهب حية عائشة في كتبنا التي نقرؤها في الأزهر**".

واستجابة لمبدأ الإصلاح لم يقف علماء الإسلام عند حد المسالمة مع تلك المذاهب الفاسدة، وإنما اجتهدوا في بيان زيفها، والتدليل على ذلك" **واجتهدوا في أن يردوا عليها بالدليل**"؛ ليدعوا بذلك فرصة للتفكير وإعمال العقل بالمقارنة بين تلك المذاهب الصحيحة والفاسدة.

الموضع الرابع :

يعمد الخطيب إلى الاستعانة بأسلوب التوكيد عند تقرير موقف الأزهر ممن يتجرأ على الدين الإسلامي وأتباعه، ويحاول التقليل من شأنهم؛ ليجد بذلك طريقًا للتأثير في المخاطب في قوله: "**لكن الأزهر يكره شيئًا واحدًا هو تعمد الاستهزاء بالدين، وتعمد الاستهزاء بالأنبياء، وتعمد الاستهزاء بأمة المسلمين، يكره هذا، ويكره أن يشكك العامة في دينهم، وأن يشكك النشء**

---

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فضل، ٢٥٩ دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٢م .

في عقائدهم، فكل شيء من شأنه أن يجعل العامة أو يجعل النشء غير مستمسكين بدينهم يقاومه الأزهر بكل ما يستطيع من قوة".

واستجابة للرغبة الملحة في ترسيخ هذا الموقف، ونشره روعي التنوع في طرائق التوكيد، فنجد من ذلك التأكيد بـــ(لكن، واسمية الجملة) في مفتتح النظم في قوله: "**لكن الأزهر...**"، وكذا التأكيد اللفظي في قوله: "**يكره شيئًا واحدًا**" إشارة إلى أن الأفعال الموضحة لاحقًا قد انفردت بهذا الرفض، وفي ذلك قلب لاعتقاد المتخوفين الذين ادعوا أن الأزهر يكره حرية الفكر والإبداع.

ويعضد ذلك التأكيد بالتكرار اللفظي لبعض الكلمات؛ لأنه "سبيل من سبل الإقناع"(١)، محاولة منه لاستثارة بواعث التأثير الوجداني نحو تكرار الفعل "**يكره**" ثلاث مرات" **يكره شيئًا... يكره هذا... يكره أيضًا**" انعكاسًا لما تشعر به النفس من الرغبة في تكرار إعلان هذا الموقف، ومشقة تقبل هذا الأمر، أعان على ذلك جرس المادة وطريقة بنائها حيث نجد مشقة في النطق متأتية من تكرار حرف "الراء" إشعارًا بامتداد الكراهية إلى النطق بالألفاظ، وفي ذلك توافق مع ما عرض من أفعال منفرة استهدفت الاستهزاء برموز الأمة الإسلامية، وإضعاف هويتها.

وإتمامًا لذلك جاء تكرار لفظ" **الاستهزاء**" لإثبات التنافي بين مدلوله ومدلول ما قرن به، إذ الاستهزاء يقتضي تحقير المستهزأ به (٢)، وهذا يتنافى مع مدلول التعبير بـــ "**الدين**" بما يشمل عليه من أمور تقتضي تعظيم الخالق،

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد خليل ملكاوي، ٣٥٠ دار الزمان، ط الأولى، ١٩٨٥م.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية، ٢٥٤.

والتعبير بـــ" **الأنبياء**" المشعر بالرفعة وعلو الشأن(١) والتعبير بـــ " الأمة" لاستلزام دلالة المادة الإشارة إلى امتلاكها مقومات الفخر والاعتزاز من وحدة، وقوة، واستجماع مواطن الخير(٢).

ويسير على هدي من ذلك تكرار لفظ " **يشكك**" مرتين، وهذا التكرار يعكس ما يسيطر على الخطيب من حرص شديد على إعلان رفضه لهذا الجرم، وبيان سوء أثره.

ومن صور التوكيد أيضاً التوكيد المعنوي لبعض الجمل نحو ما ورد في قوله: "**فكل شيء من شأنه أن يجعل العامة أو يجعل النشء غير مستمسكين بدينهم يقاومه الأزهر بكل ما يستطيع من قوة**".

ونلحظ في بناء التأكيد اشتداد لهجة الخطاب، وتعالي صيحات التهديد ومن دلائل ذلك: إيثار التعبير بلفظ العموم" **كل**" وتكراره، عضد ذلك التعبير بلفظ "**شيء**" الذي يفيد الإغراق في العموم لإبهامه، والتعبير باسم الموصول العام في قوله: " **ما**"، ووضع المظهر موضع المضمر بالتصريح بلفظ" **العامة، والنشء**"، والتعبير بلفظ" **قوة**" وتنكيرها لقصد التنويع والتعظيم، لاءم ذلك إيثار التعبير بالفعل" **يقاوم**" بدلالته على المواجهة والثبات والعزم(٣) .

الموضع الخامس :

كان للتوكيد دور مؤثر في تحفيز الأزهريين على ضرورة تنقيح الدين من الأمور التي ألصقت به في قوله: " **وأن لا تبقوا فيه تلك الإضافات التي أضيفت إليه...جردوا دينكم من كل ما غشيه**"، وفي ذلك وصد للباب أمام من يطالب بتنحية دور الأزهر عن الحياة العامة؛ ومن ثم قصره على الجانب

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ن ب و).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (أ م م)

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (ق و م).

الدعوي.

مما تجدر الإشارة إليه ابتداءً أن هذا التوكيد يتشاكل مع ما عرض في السياق القبلي من تهيئة مؤكدة في قوله:" **إن للناس فيكم أيها الأزهريون آمالًا...**" ،و قوله:" **إن الذي يجب عليكم...**".

وقد اقتضى مقام التحفيز إيثار التعريف باسم الإشارة الموضوعة للبعيد في قوله:" **تلك**" لقصد التعظيم(١) من شأن الإضافات؛ لخطورة الأثر المترتب عليها، وفي ذلك تعبئة نفسية إلى ضرورة القيام بهذا الواجب، وكذلك التعريف باسم الموصول في قوله:" التي" تقريرًا للغرض المسوق له الكلام(٢)، وهو تبرئة الدين منها، وهذا يحمل في طياته معنى التنفير، ضاعف ذلك بناء الفعل للمجهول بهذه الصيغة" **أضيفت**"؛ إذ المقصود مطلق التنفير من وجودها دون تسليط الضوء على الفاعل.

عضد ذلك الجناس الاشتقاقي بين" **الإضافات، وأضيفت**"؛ "لما له دور كبير في تأكيد المعنى وتثبيته وإضفاء موسيقى تجذب القلوب وتؤثر فيها"(٣)، فيدفعها ذلك دفعًا إلى العناية بتنقيح الدين منها، ضاعف ذلك ما يحدثه النطق بالكلمة من ضيق، وكأنه انعكاس لضيق الصدر بهذه الإضافات، وفي ذلك إعلان بكل حزم عن الرفض المطلق لهذا الأمر، فضلًا عما يضفيه ذلك من التنفير، وقد فصل بين الجملتين للتوكيد القائم بينهما.

ولأهمية هذا الأمر أكد معناه في قوله:" **جردوا دينكم من كل ما غشيه**"، ويظهر جليًا تعالي نبرات الحزم والتشديد على ضرورة وضع هذا الأمر نصب العين؛ ولذا آثر التعبير بالأسلوب الإنشائي الذي لا يخفى أثره في

---

(١) ينظر: الإيضاح ٤٦.

(٢) ينظر : الإيضاح ٤٢.

(٣) فنون بلاغية، أحمد مطلوب، ٢١٠ دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م.

استثارة مشاعر المخاطب، وحمله على التأثر عضد ذلك أسلوب الأمر في صورة فعل الأمر الصريح " **جردوا** " ؛لأنه أدعى إلى الاستجابة لاستلزامه الوضوح.

وقد ضاعف الأثر الاستعارة التصريحية التبعية في قوله:" **جردوا**" قصدًا لتحقيق الإزالة التامة لكل ما يتعلق بها، ومن جهة أخرى تشير الاستعارة إلى أن تلك الإضافات لا نفع فيها، وهذا مستفاد من قولهم:" الجرد: فضاء لا نفع فيه"(١)، وقد تناسب مع ذلك إيثار التعبير بلفظ العموم "**كل**".

ومما يشعل فيهم نار الإقدام على إزالة تلك الإضافات إيثار التعبير بقوله: "**غشيه**" إذ يشعر هذا اللفظ بالإحاطة الكاملة (٢)، وهذا يتناسب مع حالها حيث امتدت وتشعبت في شتى العلوم الدينية، ولا يخفى ما في ذلك من تهويل شأنها، ضاعف ذلك إيثار التعبير باسم الموصول العام "**ما** " .

وزاد من تحفيزهم إضافة الدين إلى ضمير الخطاب في قوله: "**دينكم**"، وكأن هذا الأمر موكول إليهم خاصة .

---

(١)ينظر: لسان العرب، مادة (ج ر د).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (غ ش ي)".

المبحث الثالث

أسلوب المقابلة

أسلوب المقابلة من الأساليب البلاغية المؤثرة التي يُعمد إليها عند قصد الإقناع؛ لما له من أثر قوي في النفس إذ هو أداة لوضوح الأفكار، وجلاء المعاني وتقريرها بالجمع بين المتقابلات على وجه يبرز المفاضلة بينها، فيدع بذلك فرصة التدبر والتفكير فضلًا عما يحدثه في النفس من متعة ولذة.

المقابلة في اللغة: " القاف، والباء، واللام " أصل يدور حول المواجهة، والمعارضة يقال: "قابل الشيء بالشيء: إذا عارضه"، "وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضاً " (١).

المقابلة في اصطلاح البلاغيين: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب(٢).

وقد اعتمد البلاغيون المقابلة أساسًا في بناء بعض الأساليب البلاغية نحو : القول بالموجب(٣)، و"التغاير"(٤).

وترد المقابلة في عدة صور هي:

١ – مقابلة اثنين باثنين كما في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾(٥).

٢ – مقابلة ثلاثة بثلاثة كما في قوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ق ب ل).

(٢) الإيضاح (٣٥٣: ٣٥٤) بتصرف.

(٣) ينظر: الإيضاح وبحاشيته البغية، عبد المتعال الصعيدي، ٦٣٣/٤ مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٤) ينظر: تحرير التحبير، ٢٧٧، وبديع القرآن ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق/ حفني محمد شرف، ١٠٥ نهضة مصر، للطباعة والنشر، ط ١٩٥٧م.

(٥) سورة التوبة الآية (٨٢).

﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ (١) .

٣ – مقابلة أربعة بأربعة كما في قوله تعالى:﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ (٢).

٤ – مقابلة خمسة بخمسة كما في قول المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي ... وأنثني وبياض الصبح يغري بي(٣)

٥ – مقابلة ستة بستة كما في قول الشاعر:

على رأس عبد تاج عز يزينه ... وفي رجل حر قيد ذل يشينه (٤).

ولعظم أثر المقابلة في تحقيق الإقناع تعددت مواضع ورودها في نظم الخطبة حيث وردت في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول :

اتخذ الخطيب من التقابل أداة لتغيير مسار اعتقاد بعض الناس في أن الحرمان من الشهوات والملذات التي تمليها عليهم أهواؤهم دون ضابط ديني مصدر شقاء، وتعاسة في هذا المجتمع، وذلك بالموازنة بين مصادر الشقاء الحقيقية ومصادر السعادة الحقيقية، وبيان حد وجودهما، وما يترتب على كل في قوله: "**والفواحش ليست من الكثرة بحيث إذا انعدمت من أمة ضاع هناؤها وترفها وسعادتها، وفي المباحات من الكثرة ما يجعل الحياة سعيدة مترفة ناعمة**".

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٧).

(٢) سورة الليل الآية (٥: ١٠).

(٣) ينظر: شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي ٢٩٠ دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

(٤) ينظر : الإيضاح وبحاشيته البغية، عبد المتعال الصعيدي٤/ (٥٨٠: ٥٨٢)

مما تجدر الإشارة إليه ابتداءً أن الخطيب راعى في بناء نظم المقابلة تقديم ذكر ما تنفر منه النفس السوية "مصادر الشقاء"؛ لتهرع بعد ذلك إلى طلب ما يحقق لها الدعة والسكون، فإذا جاءها قبلته؛ ولذلك روعي تقديم المسند إليه في قوله: "**والفواحش ليست...**"، وإيثار صيغة جمع التكثير.

وقد كشف بناء النظم على المقابلة عن موقف الخطيب الذي لم يقف عند حد المواجهة بالرد على دعوى المخالفين، وإنما تجاوز ذلك إلى حد المجابهة والإفحام؛ ومن ثم اشتدت لهجة الخطاب، وقد تبدى أثر ذلك في بناء طرفي المقابلة، فمن مظاهر ذلك:

بناء المقابلة على الجمع بين ثلاثة معان وما يقابلها حيث جمع بين مصادر الشقاء الحقيقية، وقلتها، والأثر المترتب على عدم وجودها في حياة الأمة، ومصادر السعادة الحقيقية وكثرتها والأثر المترتب على وجودها.

دقة الشيخ في اختيار ألفاظه وتراكيبه التي أبرزت مصادر الشقاء في صورة منفرة تأباها الفطرة، ويمجها العقل، وتبرز مصادر السعادة في صورة محببة إلى النفس تستريح لها، وتحرص على طلبها، وتعاضدت أجزاء النظم مادة وبنية على إبراز ذلك نحو:

إيثار التعبير عن مصدر الشقاء بـــ"**الفواحش**"، والفحش: هو القبيح من القول والفعل الذي لا يكون موافقًا للحق والقدر(١)، وهذا يتنافى مع ما تقره الفطرة السوية، والعقل السليم، وهو أمر منهي عنه بصريح قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾(٢)، وقوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (٣)، أعان على ذلك بنية الكلمة حيث أوثر التعبير بجمع التكثير في قوله:

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة "(ف ح ش).

(٢) سورة الأعراف الآية: (٣٣).

(٣) سورة النحل الآية: (٩٠).

"**الفواحش**" ليدل بذلك على أن الفواحش مهما تعددت وتنوعت مظاهرها ليست من الكثرة التي تحول دون تحقيق سعادة الأمة، وقد ضاعف ذلك جرس الكلمة وتركيب حروفها المشعر بثقل في النطق (الفاء ثم الواو ثم الألف ثم الحاء ثم الشين).

وفي مقابل ذلك أتى التعبير عن مصادر السعادة بـــ" **المباحات**"، والمباح: خلاف المحظور، وهو المجاز المسموح به(١)، وهذا يستلزم قبوله، ومن جهة أخرى نجد أن دلالة المادة تحمل من المعاني والإيحاءات ما يتلاقى مع الأثر الناتج عن فعلها كالسعة، والفرج، والخير، والظهور، وكأن المباح مصدر وجود لكل ما هو خير(٢)، كما نجد فيها معنى الظهور والبيان(٣)، فالمباحات جلية للجميع لا تخطؤها العين؛ لموافقتها مقتضيات الفطرة السليمة، ولا يخفى ما في ذلك من الترغيب.

ثم قابل الشيخ بين "**الفواحش**"، و"**المباحات**" في حد الوجود حيث نفى الكثرة عن الفواحش في قوله: "**والفواحش ليست من الكثرة** " رغم تنوع صورها، وأثبت الكثرة للمباحات "**وفي المباحات من الكثرة**"، وهذا مستفاد من التعبير بحرف الظرفية الدال على التمكن الشديد(٤).

ثم تجلى التقابل بين الأثر المترتب على كل منهما، حيث أثبت الخطيب أن الفواحش ليست مصدر سعادة بطريق غير مباشر متخذاً من مخاطبة الجانب العقلي سبيلاً ليدع لهم فرصة المشاركة في الحكم؛ ومن ثم يسهل اقتناعهم حيث أشار إلى أن القضاء على الفواحش لا يعوق تحقيق سعادة

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ب و ح).
(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ب و ح).
(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (ب و ح).
(٤) ينظر: الجنى الداني، ٢٥٠.

الأمة، وجاء بيان ذلك على وجه مقرر حيث استعان بأسلوب الشرط المقتضي تلازم الطرفين، مؤثرًا أداة الشرط "إذا" التي ترد فيما هو متيقن الوقوع(١)، ضاعف ذلك التعبير بالفعل الماضي ، وهذا يستلزم أن وجود الفواحش ليس سبب السعادة كما يتوهمه بعض الناس؛ لأن الواقع يخالفه، وهذا أمر لا يستطيعون رده لمشاهدته عياناً.

ثم أثبت على جهة التقابل أن وجود المباحات سبب مقرون بتحقيق تلك السعادة، بل جعل المباحات محور تحول لهذه الحياة بدليل إيثار التعبير بقوله: " **يجعل**" الذي يقتضي التحويل(٢)، وكأن المباحات هي السبب الوحيد في إحالة الحياة من شقاء إلى سعادة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بناء الأثر في كل موضع روعي فيه نهج التعدد حيث أوثر أسلوب الجمع في قوله في جانب الفواحش:" **ضاع هناؤها وترفها وسعادتها**"، وفي جانب المباحات:" **يجعل الحياة سعيدة مترفة ناعمة**".

وقد جاء ترتيب تلك المظاهر في كل موضع على نسق بديع، ففي الطرف الأول من المقابلة روعي في الترتيب التدرج الوجودي، حيث جاء الترتيب مراعيًا حال المخالفين الذين توهموا وجود السعادة مع الفواحش، فابتدأ النظم بذكر الهناءة وهي كل أمر أتاك بدون مشقة(٣)، وهذا يتناسب مع حال الفواحش إذ يسهل اقترافها، ولا تحتاج إلى عناء في تحصيلها لوجود دواعيها في كل مكان إلا من رحم ربي، فإذا ما أغرق الإنسان فيها أترف، فتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، ودعاه ذلك إلى البطر والغرور(٤)، ويمتلكه

---

(١) ينظر: الإيضاح، ٩١.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة " (ج ع ل).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (هــ ن أ).

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (ت ر ف).

حينئذ الشعور بالسعادة وهذا ما يعنيه، وقد ارتكز النظم على إبراز المظاهر الحسية للسعادة، ويتشاكل ذلك مع ما ذكر في معرض تخوفهم من سيطرة الأزهر على الحياة الاجتماعية في قوله : " **إذ يحرم الناس شهواتهم وملاذهم** " .

وفي الطرف الثاني من المقابلة روعي في الترتيب الترقي تلاؤمًا مع حال الملتزم الذي يكبح جماح نفسه، ويلتزم بما تمليه عليه أعرافه الدينية والاجتماعية، فالتمسك بالمباح يجعل حياة الملتزم "**سعيدة**"؛ لما يقدمه له من المعونة والتوفيق في سبيل كسب الرضا النفسي والإلهي، وهذا مستفاد مما تحويه دلالة المادة من الإعانة والتوفيق واليمن(١) .

ومن جهة أخرى يدفعه ذلك إلى الترقي في الالتزام تيمناً بما سبق، فيزداد إقباله على وجوه النفع المباحة، فتنفتح له أبواب الخير، والسرور(٢)، فيزداد شعوره بالنعم، ثم يترقى في درجات التنعم فيجمع مع النعيم الحسي النعيم المعنوي حيث يظهر أثر هذا النعيم على صاحبه.

الموضع الثاني :

لما كان الشيخ متبنيًا فكرة الإصلاح الديني في الأزهر الشريف الذي يُعنى بضرورة تنقيح العلوم الدينية، وتطويرها بما يتوافق مع مقتضيات كل عصر ومستجداته أرشد طلاب الأزهر إلى ضرورة الرجوع فيما يتعلق بأمور دينهم إلى المصادر الصحيحة التي تضمن لهم السلامة والرشاد في قوله:" **خذوه من الكتاب والسنة وآراء السلف الصالح من الأئمة** "، وتقريرًا لذلك قرنه بما يقابله في قوله: " **واتركوا بعد ذلك ما جد وعرض** ".

ما يلحظ ابتداءً بناء طرفي النظم على الأسلوب الإنشائي محاولة لاستمالة المخاطب بإثارة انتباهه، واستدعاء مشاعره، ولجعل هذا الطلب أقرب إلى

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (س ع د) .

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ن ع م) .

الإجابة آثر التعبير بالأمر الصريح " **خذوه، واتركوا**".

وقد بنيت المقابلة على الجمع بين بين معنيين" الأخذ من المصادر الصحيحة"، ومقابلتهما بآخرين "عدم الأخذ مما جد وعرض" حيث قابل بين الأخذ والترك في قوله:" **خذوه، واتركوا**" لدلالة الأخذ على حوز الشيء وجبيه وجمعه(١)، وهذا يقتضي التمكن من المأخوذ كأنه يمسكه بيده حرصًا عليه، ورغبة فيه لالتماس النفع فيه، وهذا يتوافق مع ما تعلق به "**الكتاب ، والسنة، وآراء السلف الصالح**"، بخلاف التعبير بالترك الذي يقتضي التخلية عن الشيء لعدم التماس النفع فيه يشهد لذلك قولهم: "التريكة: البيضة بعد ما يخرج منها الفرخ"(٢)، وهذا يتناسب مع ما تعلق به.

ولما روعي في المصادر الصحيحة "الكتاب، **والسنة، وآراء السلف الصالح من الأئمة**" الثبوت والتكامل على وجه يحقق الفائدة والنفع في كل زمان ومكان انسجامًا مع مبادئ الدين الثابتة دائمة الصلاح قابله بما يفتقد ذلك في قوله:" **جد وعرض**" ؛ لدوران مادة (ج د د) حول معنى القطع أخذًا من قولهم: "الجديد: ما لا عهد لك به"، و " جددت الشيء: قطعته"(٣)، وهذا يساير حالًا معينًا ، وزمنًا خاصًا ، فالجديد قد لا يتناسب إلا مع واقعه الذي استوجبه، ومثل ذلك لا يقاس عليه؛ لأن مبادئ الدين ثابتة حتى قيام الساعة، كما أنه يقتضي عدم النفع أخذًا من قولهم :" تجدد الضرع: ذهب لبنه"(٤)، وكذلك الشأن في التعبير بقوله: "**عرض**"؛ لأنه يقتضي المنع يقال:" عرض الشيء: انتصب ومنع وصار عارضًا"(٥)، وكأن هذا العارض يحول دون

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (أ خ ذ) .

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ت ر ك) .

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (ج د د) .

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (ج د د) .

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (ع ر ض) .

الوصول إلى تحقيق البغية، كما أنه يقتضي الزوال الذي يتنافى مع ثبات مبادئ الدين، وهذا مستفاد من قولهم: "العرض: متاع الدنيا وحطامها"(١)، ومن جهة أخرى يرتبط العرض بمصادر الشقاء والابتلاء؛ ولذا قيل: "العرض: ما يعرض للإنسان من الهموم والأشغال"، و"العارض: الآفة تعرض في الشيء" (٢) .

ولما أخذ الخطيب بعين الاعتبار عند ذكر المصادر الصحيحة حسن التقسيم باستيفاء المصادر التي تضمن لهم السلامة، وهذا يقتضي التخصيص والتقييد قابل ذلك بالإطلاق والعموم المستفاد من التعبير باسم الموصول العام في قوله :"**ما** ".

الموضع الثالث :

استجابة لمبدأ التنقيح والتطوير يسلك الخطيب هذا المسلك عند بيان منهج علماء الأزهر في التعامل مع المذاهب المخالفة الموجودة في كتب الفقه والكلام، حيث يقفون منها موقف الناقد البصير الذي يمتلك القدرة على التمييز بين الجيد والرديء، والصالح والفاسد؛ ليفسح المجال للمخاطب بالمشاركة في الموازنة التي تأخذ بيده إلى الحكم المطلوب، وقد جاء ذلك في قوله: "**والتي ننقدها ونختار منها ما هو صالح، ونترك ما ليس بصالح...** ".

وقد بنيت المقابلة على الجمع بين معنيين، ومقابلتهما بآخرين حيث قابل بين قوله:" **نختار، ونترك**"؛ لاقتضاء التعبير بقوله:" **نختار**" التدقيق والتبصر لمواطن النفع(٣)، والتعبير بقوله: "نترك" افتقاد النفع(٤).

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ع ر ض).
(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ع ر ض).
(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (خ ي ر) .
(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (ت ر ك) .

ومما ضاعف من تأثير المقابلة التشاكل في بناء الطرفين من ذلك :

إيثار التعبير باسم الموصول العام" ما"؛ لتسليط الضوء على عموم مظاهر الاختيار والترك، وكذلك إيثار الفعل المضارع مسندًا إلى ضمير المتكلم لدلالته على تجدد ذلك بتجدد مقتضياته، وتسليط النفي والإثبات على المادة الواحدة "**صالح، ليس بصالح**"؛ إذ لا يخفى ما يحدثه ذلك من جرس موسيقي يعزف على الوتر الوجداني.

المبحث الرابع
أسلوب الشرط

أسلوب الشرط من أقوى الأساليب التي تسهم في إقناع المخاطب، ودفعه إلى القبول والتسليم؛ إذ يؤثر فيه تأثيرًا كليًا لما يقتضيه من تلازم طرفيه، وترتيب أحدهما على الآخر، فضلًا عما يحدثه من جذب انتباهه وتشويقه، ومنحه فرصة التفكير والمشاركة.

وقد ورد اعتماد الشيخ هذا الأسلوب سبيلًا للإقناع في نظم الخطبة في ثلاثة مواضع.

الموضع الأول :

ورد عند عرض دعوى المتخوفين من خطر الأزهر على الحياة الاجتماعية في قوله:" **إن الأزهر إذا قوي واشتدت عزيمته، يدخل في الحياة الاجتماعية فيكدر هذه الحياة**"، فهم يتخوفون من ازدهار الأزهر بعلمائه، وانتشار مبادئه بين الناس على وجه يصير به مسيطرًا على الحياة، وأخذًا بيد المخاطب إلى الاقتناع والمشاركة استعانوا ببناء النظم على الشرط؛ لاقتضائه اقتران السبب بالنتيجة، فهم يجعلون تكدر الحياة مسببًا عن تدخل الأزهر، وهذا أدعى للنفور والمقاومة.

ولإكساب دعواهم شيئًا من المصداقية آثروا أداة الشرط " **إذا**" التي ترد فيما هو مقطوع متيقن[١] ، ضاعف ذلك إيثار التعبير بصيغة الماضي في فعل الشرط " **قوي، واشتدت**"، وقد ناسب ذلك أيضًا امتداد بناء جملة الشرط.

ولسيطرة هذا الشعور عليهم عمدوا إلى اختيار ألفاظ تبرز قوة خطر الأزهر نحو التعبير بقوله: "**قوي**" ؛ لاستلزام دلالة المادة الشدة والصلابة[٢]،

---

(١) ينظر: الإيضاح، ٩١.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ق و ي).

ضاعف ذلك الاستعارة المكنية في قوله: "**الأزهر إذا قوي** "، وهي من أقوى الأساليب تأثيرًا في المخاطب لتنوع موطن التأثير الذي تحدثه فيه حيث تلعب دورًا بارزًا في تغيير عقله ووجدانه بما تستلزمه من وضوح المعنى وتقريره، ومضاعفة جذب انتباهه؛ لأن تأثير المشاهد أقوى من تأثير المسموع ، حيث صورت الأزهر بشيء مادي يقوى ويعظم أثره، ثم أكدوا ذلك بقوله:" **اشتدت عزيمته**"؛ إذ " يدور أصل المادة حول القوة والصلابة[١] يعضد ذلك بنية الفعل الدالة على المبالغة في إبراز ذلك، أعان على ذلك الاستعانة بالاستعارة المكنية التي شبهت العزيمة بشيء مادي يقوى ويشتد.

وكما روعي امتداد جملة فعل الشرط روعي التفصيل في الأثر المترتب في قوله: "**يدخل في الحياة الاجتماعية فيكدر هذه الحياة** ".

ويكفي في التحفيز على المقاومة إيثار التعبير بهذا اللفظ "**يكدر**" المشعر بالضيق وعدم السعادة؛ لأن الكدر: نقيض الصفاء[٢]، وهذا أمر غير محبب مؤثرًا صيغة المضارعة الدالة على تجدد ذلك لتجدد مقتضياته.

الموضع الثاني :

استجابة للوعي الشديد بعظم تأثير أسلوب الشرط في الإقناع لجأ أصحاب دعوى أن الأزهر يعكر صفو الحياة العامة إلى الاستعانة به عند تأكيد دعواهم في قوله :" **والحياة لا تحتمل ولا تطاق إذا سيطر الأزهر عليها بسلطان الدين**" معلنين تذمرهم وشدة قلقهم، وقد بدا أثر ذلك في بناء النظم حيث آثروا أداة الشرط" **إذا**"، ومجيء فعل الشرط في صيغة المضي" **سيطر**".

ولتمكن هذا الشعور منهم هرعوا إلى تقديم جواب الشرط – الأثر المترتب – على فعل الشرط محاولين بذلك كسب تجاوب غيرهم ومساندتهم؛

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ش د د).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ك د ر).

ولذا آثروا بناء الجواب على وجه مؤكد بدليل التعبير بالجملة الاسمية، وتكرار أداة النفي، وتوكيد الفعل بمرادفه " **والحياة لا تحتمل ولا تطاق**" سالكين مسلك الترقي في إبراز عدم القدرة على التحمل، وهذا يكشف عن سوء طويتهم حيث قصدوا من وراء ذلك المبالغة في تهييج العامة، وإشرابهم مسلكهم؛ ومن ثم مشاركتهم الموقف.

الموضع الثالث :

اتخذ الخطيب أسلوب الشرط أداة فعالة في تحقيق الإقناع عند بيان الأثر المترتب على التزام الأزهريين بأخذ مبادئ دينهم من الكتاب والسنة وآراء السلف الصالح في قوله:" **فإذا فعلتم ذلك اهتديتم واهتدى الناس بكم، وحققتم أمل أمتكم والعالم الإسلامي فيكم** ".

وقد روعي في بناء النظم تعظيم دورهم، والأثر المترتب عليه، وتعاضدت أجزاء النظم مادة وبنية على إبراز ذلك، فيطالعنا إيثار التعبير بأداة الشرط" **إذا**" الدالة على حتمية وجود الأثر – الهداية – لوجود الاستعانة بتلك المصادر، أعان على ذلك التعبير بصيغة المضي التي تقتضي التحقيق في طرفي الشرط "**فعلتم... اهتديتم واهتدى ....، وحققتم**".

ومن دلائل تعظيم دورهم إيثار التعبير بقوله:" **فعلتم**"؛ إذ الفعل يقتضي وجود سبب داع له يتمثل في تحقيق الصلاح والخير [(١)]، وكأن هذا غايتهم، ضاعف ذلك التعبير باسم الإشارة الموضوعة للبعيد " **ذلك**" لقصد التعظيم[(٢)] .

ولتعظيم هذا الدور في نفوسهم آثر تقييد الفعل بالجار والمجرور في قوله: "**بكم**"؛ إذ لا يخفى ما يحمله ذلك في طياته من شحذ الهمم، حيث جعلهم السبب المطلق في اهتداء الناس باتخاذهم قدوة ومثلًا؛ وإذا كان الأمر

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ف ع ل).

(٢) ينظر: الإيضاح، ٤٦.

كذلك علت همتهم.

ويتبدى تعظيم الأثر في تعدده وتنوعه، حيث يُبرز عالمية رسالة الأزهر إذ لا يتوقف عند حد الفرد، وإنما يتجاوز ذلك ليشمل عموم الناس في العالم الإسلامي؛ ولذا روعي الإطناب في بناء الأثر متخذاً من ذكر العام بعد الخاص سبيلًا ليقرر عموم الأثر" **اهتديتم واهتدى الناس بكم**".

ومن جهة أخرى روعي التنوع في طبيعة الأثر "**اهتديتم واهتدى الناس بكم، وحققتم أمل أمتكم والعالم الإسلامي فيكم**"

وقد كشف النظم عن الوعي الدقيق من قبل الشيخ بمواضع التأثير في بناء النظم حيث آثر ذكر هذا الأثر" **وحققتم أمل أمتكم والعالم الإسلامي فيكم** " ردًا لعجز الكلام على صدره الوارد في مطلع قوله: " **إن للناس فيكم أيها الأزهريون آمالًا في مصر وفي غير مصر** " توكيدًا، وكأن القيام بهذا الدور هو الغاية المرجوة للأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ؛ لما يترتب عليه من ضمان السعادة في الدنيا والآخرة ، وفي ذلك تعريض بمن توهم وجود السعادة في غير ذلك، هذا من جانب ومن جانب آخر يعكس نهج بناء النظم سيطرة هذه الفكرة على الشيخ، ورغبته الملحة في تقريرها.

المبحث الخامس

أسلوب الاقتباس

مما هو متفق عليه أن أسلوب الاقتباس من الأساليب البلاغية القوية التي يتكأ عليها المتكلم عندما يقصد إقناع غيره؛ لما له من أثر بالغ في تحريك وجدان المخاطب لقدسية ما يستشهد به من النظم القرآني، أو الحديث النبوي الشريف، كما يعزف على الوتر العقلي بالاستشهاد بما لا يقبل الشك أو الإنكار، فيتخذ ذلك سبيلًا لكسب المعنى توثيقًا ومصداقية، فلا يكون أمام المخاطب سوى القبول والإذعان.

الاقتباس في اللغة: " القاف، والباء، والسين" أصل يدور حول الأخذ مما يحقق الفائدة، وهذا مستفاد من قولهم:" أقبسني نارًا: أعطاني"، و "قبست منه علمًا: استفدته"، و"القوابس: الذين يقبسون الناس الخير أي يعلمون"، كما نجد فيها معنى السرعة[١] إشارة إلى سرعة التأثير الذي يحدثه في المخاطب.

الاقتباس في اصطلاح البلاغيين: أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه بأن يكون خاليًا من الإشعار بذلك بأن يقول : " قال الله تعالى" ، أو قال الرسول صلى الله عليه وسلم" أو نحوه، فإن أشعر بذلك فلا يكون اقتباسًا، بل يكون استشهادًا[٢]، و"يعمد إليه المتكلم من أجل تقوية كلامه؛ ليكون أكثر إقناعًا في المتلقي"[٣].

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ق ب س).

(٢) ينظر: الإيضاح مع البغية، ٤/ ٦٨٨، وعلم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيوني عبد الفتاح فيود ٢٢٥ مؤسسة المختار، القاهرة، ط الثانية، ٢٠٠٨م.

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ٣٣٨ المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م.

"ويجوز أن يحتفظ المقتبس بالنص القرآني أو النبوي، أو أن ينقله إلى معنى آخر ، كما يجوز له أن يغير في الألفاظ المقتبسة تغييرًا يسيرًا، وما من ريب في أن الألفاظ المقتبسة من القرآن أو الحديث تزيد الكلام قوة وبلاغة، كما تضفي عليه حسنًا وجمالًا، إذ تبدو وسطه كالضياء اللامع، والنور المشرق، والمتكلم عندما يقتبس يبني كلامه على الالتئام والتلاحم، وبهذا يبدو كلامه قويًا بليغًا"(١).

وقد ورد اتخاذ هذا الأسلوب سبيلًا للإقناع في موضعين: الأول بني على الاقتباس، والثاني بني على الاستشهاد.

الموضع الأول :

استعان الخطيب بهذا الأسلوب عند محاولة إقناع المخاطب بسماحة الدين الإسلامي في قوله: " **والإسلام بطبيعته دين تسامح، ومبادئه لم تعترف بالإكراه :** ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾(٢)، "﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (٣).

وقد آثر الخطيب أسلوب الاقتباس انسجامًا مع نهجه في تقرير هذا المعنى، حيث راعى توكيده بأكثر من طريق، فاستوجب ذلك الاسترسال في ذكر الدليل النقلي المعضد لكلامه استشعارًا منه بتجاوب المخاطب وتأثره بذلك، وقد اصطبغ الاقتباس بصبغة التوكيد فعضد باقتباس آخر مبالغة في التقرير.

ويتبدى التناسب جليًا بين بناء نظم الاقتباس، وبناء ما اكتنفه سباقًا ولحاقًا في تقرير سماحة الدين الإسلامي، ويكفي شاهدًا على ذلك في الاقتباس الأول إيثار النفي بـــ " لَا " النافية للجنس لقصد العموم (٤)، والتعبير بالمصدر في

---

(١) علم البديع ٢٢٥.

(٢) سورة البقرة الآية: (٢٥٦).

(٣) سورة يونس الآية: (٩٩).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٣/ ٢٦ الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

قوله:" إِكْرَاهَ" تأكيدًا، وفي ذلك دليل واضح على نفي الإكراه بجميع صوره.

وأخذًا بيد المخاطب إلى الاقتناع قرن هذا الحكم بالتعليل في قوله:" **قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** " مؤثرًا بناء التعليل على التوكيد بحرف التحقيق " **قَدْ** "؛ لأن المراد تقرير ظهور الدلائل التي تميز طريق الرشاد من طريق الضلال، ضاعف ذلك التعبير بالمصدر.

وكذلك الشأن في الاقتباس الثاني روعي تقرير النفي بإيثار بناء النظم على الاستفهام الإنكاري، وتسليطه على المسند إليه في قوله:" **أَفَأَنْتَ**"(١).

الموضع الثاني :

يسلك الخطيب هذا المسلك عند بيان الدور المنوط به الأزهر المتمثل في كونه جهة بيان وإيضاح لما شرعه الله؛ ومن ثم لا يتعارض مع نواميس الحياة الاجتماعية السوية؛ ليوصد الباب أمام أي ادعاء يلصق بالأزهر، ولا يخفى ما في ذلك من التقرير، وقد جاء ذلك في قوله:" **وأما الحياة الاجتماعية فالله – تعالى – يقول:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾** (٢) هذا هو الذي يدخل فيه الأزهر، فهو يقاوم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويقاوم الذين يقولون على الله بغير علم".

ما يلحظ ابتداءً أن الخطيب آثر أسلوب الاستشهاد بالتمهيد بقوله:" فالله – تعالى – يقول"، ثم ذكر موطن الاستشهاد مراعاة لحال المتخوفين الذين توهموا أن الأزهر مصدر تشريع، وأشربوا فكرة أنه يعكر صفو الحياة الاجتماعية بحرمان الناس من شهواتهم وملذاتهم، فاستوجب ذلك الرد بالدليل القاطع على بطلان اعتقادهم ودعواهم مصرحًا بأن ذلك من كلام الله مشرع

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١١/ ٢٩٣.

(٢) سورة الأعراف الآية: (٣٣).

الأحكام، ومبالغة في إفحامهم ابتدأ بناء النظم بذكر موطن الاستشهاد.

ولرغبة الشيخ الملحة في إقناع المخالفين بأن الأزهر حريص على إصلاح المجتمع؛ ومن ثم تطهيره من كل ما يعوق ذلك قرر الشيخ مضمون الاستشهاد بطريق التأكيد اللفظي حيث أكد قوله تعالى:" إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ " بقوله:" فهو يقاوم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"، وأكد قوله تعالى:" وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" بقوله : " ويقاوم الذين يقولون على الله بغير علم ".

ويمتد الأمر إلى نهج بناء النظم، حيث بني نظم الاستشهاد على التأكيد بأسلوب القصر ، كذلك قرر الشيخ قوله مستعيناً بأسلوب القصر" هذا هو الذي يدخل فيه..."،

وقد اختلف طريق القصر في الموضعين ، حيث جاء في النظم القرآني القصر بـــ "إنما" التي ترد فيما هو معلوم أو ما ينزل منزلة ذلك[١] ؛ لظهور الدلائل والحجج على أن التحريم متسلط على كل ما هو غير نافع ، وكأن هذا التحريم مظهر إنعام؛ ولذا أوثر التعبير بالربوبية " رَبِّيَ"؛ لاستلزام دلالة المادة الإشارة إلى الإحسان ، والتربية، والإصلاح، والإنعام[٢]، وكأنه يقول: إن ربكم المحسن إليكم قد رفع بهذا التحريم ما يسبب لكم الضرر، بينما آثر الخطيب القصر بضمير الفصل في قوله:" هذا هو الذي يدخل فيه الأزهر" توافقًا مع حال المتخوفين الذين تقرر في أذهانهم أن تدخل الأزهر في الحياة الاجتماعية يكدر صفوها، فقصد بطريق القصر تمييز الدور المنوط به الأزهر، وقد ناسب ذلك تعريف المسند إليه بالإشارة " هذا" لتمييزه أكمل تمييز[٣] ؛ ليستقر في أذهانهم ما رمى إليه.

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ٣٣٠.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ر ب ب)

(٣) ينظر: الإيضاح ٤٤.

المبحث السادس

أسلوب المذهب الكلامي

يعد المذهب الكلامي من الأساليب البلاغية التي يتخذها المتكلم سهمًا نافذاً لا يخطئ هدفه في تغيير مسار اعتقاد المخاطب أو سلوكه؛ لقيامه على مخاطبة العقل الذي هو قدر مشترك بين أفراد الخليقة؛ ومن ثم لا يكون أمامه سوى التسليم، وسلوك هذا المسلك من سنن العرب في كلامهم حيث يرد النظم مشفوعًا بالحجة الداحضة.

وقد انصرفت همة كثير من البلاغيين إلى العناية بدراسة هذا الأسلوب، واستجلاء قيمته البلاغية، وأثره في إبراز المعنى، واستلزم ذلك أن يضعوا حدًا له.

المذهب الكلامي في اصطلاح البلاغيين هو : "أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام " (١) .

والمذهب الكلامي "يعتمد على سوق البراهين والحجج وعرض الأدلة، والتعليلات الحقيقة للأحكام والدعاوي والقضايا الأدبية التي يعرض لها الأديب، وبقدر ما تكون هذه البراهين وتلك العلل أقرب إلى المنطق والعقل بقدر ما تكون بلاغة هذا الأسلوب، وقوة تأثيره " (٢) .

وقد استعان الخطيب بهذا الأسلوب أداة للإقناع عندما أراد أن يثبت أن الأزهر ليس مصدر خطر على الحياة الفكرية كما ادعاه أصحاب الفكر المشوش الذين ينساقون وراء نعرات التغريب دون أدنى وعي أو إنصاف، وجاء ذلك في قوله: "**أما الحياة الفكرية فلا أظن بحال أن الأزهر خطر عليها؛ لأن الأزهر يساير أسلافه من العلماء الأجلاء، ومن الأئمة الذين كان**

---

(١) الإيضاح (٣٧٧: ٣٧٨).

(٢) علم البديع، بسيوني فيود ٢٠١.

عندهم من سعة الصدر ما احتمل هذه المذاهب المتعددة التي نقرؤها في كتب الكلام، وفي كتب الفقه، والتي ننقدها ونختار منها ما هو صالح، ونترك ما ليس بصالح".

وقد كشف بناء النظم عن رغبة الشيخ الملحة في استدراج المخالف نحو التفاعل والمشاركة في تفنيد تلك الدعوى الواهية؛ ومن ثم تسليمه وإذعانه بصحة ما يقول، ومن شواهد ذلك:

إيثار النفي بـــ" **لا** " التي ترد لإفادة إطلاق النفي بحيث لا يتقيد بزمن معين(١)، وكأن في ذلك تعريضًا بأن ما اعتقدوه خارج عن دائرة الصواب.

وأخذًا بيدهم نحو ما يريد آثر التعبير بالظن في قوله:" **أظن**"؛ لاقتضائه الدلالة على اليقين الناشيء عن التدبر(٢)، فالشيخ لم يصدر حكمه اعتباطًا ومجازفة، وإنما عن فطنة وروية وتبصر، وتقريرًا لذلك راعى بناء النظم على التوكيد بـــ " **أما**" التي تعطي الكلام فضل توكيد، وأن المعنى قائم لا محالة (٣)، و" **أن**" المشددة التي هي بمثابة تكرار الجملة مرتين(٤)، والجملة الاسمية؛ ليضفي على حكمه توثيقًا أقوى من التوثيق المستفاد عند عرض دعوى المتخوفين في قوله: " **إن الأزهر إذا قوي واشتدت عزيمته...**" لاسيما وقد استعان بنفس أدوات التوكيد" إن، واسمية الجملة"، وزاد عليها " **أما**"، ضاعف ذلك التوكيد بالاعتراض(٥) الوارد في قوله : " **بحال** " محاولًا بذلك

---

(١) ينظر: شرح تسهيل الفوائد ابن مالك تحقيق عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي ١/ ٢٠ هجر للطباعة والنشر، ط الأولى، ١٩٩٠م.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ظ ن ن) .

(٣) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي ٥٨٠/٢ المكتبة التوفيقية، مصر، بدون.

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢١٩/٣.

(٥) ينظر: الإيضاح ٢٠٦.

دفع أدنى شك في صحة ما ذهب إليه كيف لا وهو المتحدث بلسان المسلمين في العالم أجمع.

ولكي تسكن نفس المخالف قرن هذا الحكم بالتعليل في قوله: " **لأن الأزهر يساير أسلافه من العلماء الأجلاء...**" قاصدًا من وراء ذلك " الإقناع بصحة الكلام"(١) مستثيرًا فيهم بواعث التفكير العقلي بقياس الحاضر على الماضي، فموقف الأزهر هذا ليس بدعًا، وإنما هو نهج متبع يسير بخطى ثابتة منذ نشأته تجاه الحياة الفكرية.

ومبالغة في الاستدراج تحرى الشيخ الدقة في اختيار الألفاظ الكاشفة عن صحة ما ذهب إليه، والتي يبدو من خلالها صورة السلف في صورة مشرفة جديرة باتخاذهم قدوة ومثلًا؛ ومن ثم يكون سلوك مسلكهم أمرًا واجبًا، فهم صفوة الأمة " **العلماء**" الذين يملكون ناصية العلم على وجه يحقق الهداية، والحلم، والإتقان، وتصديق علمهم بالعمل، فضلًا عن اتساع مداركهم ودقة وعيهم(٢)، كما روعي في هذا الوصف الإشارة إلى مزاولة العلم وطول ملابسته(٣)، ومن كان هذا شأنه لا يتصور منه سوى ما يعين على انتعاش الحياة الفكرية ورقيها.

ولعظم هذا الأثر الذي لا يتوقف عند حد معين، أو فرد خاص استحقوا التعظيم وإعلاء القدر فآثر وصفهم بقوله:" **الأجلاء**"(٤)، ومن جهة أخرى يوجب هذا الوصف اتباعهم، وتجنب التطاول عليهم.

وترقيًا في الأمر أشار الشيخ إلى أن هذا النهج مسلك أئمة المسلمين "**ومن الأئمة** " الذين ملكوا مقاليد العلم والحكم، خلفاء النبي في حراسة الدين

---

(١) البلاغة العربية، عبد الرحمن حنبكة، ٩٤/٢ دار القلم، دمشق، ط الأولى، ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ع ل م).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (ع ل م).

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (ج ل ل).

والدنيا(١)،الذين تتوفر فيهم الهداية، والقوة، والتدين، والإصلاح والاستقامة(٢)، وفي ذلك انعكاس لفكر الشيخ المتبني ربط الدين بالدنيا.

ومبالغة في التقرير استعان الشيخ بالكناية الواردة في قوله:" **عندهم من سعة الصدر ما احتمل هذه المذاهب المتعددة التي نقرؤها في كتب الكلام**..."كناية عن تقبلهم للآراء الأخرى، وعدم مصادرتها بل شمولها بالشرح والتحليل والنقد.

ولكي يوصد الباب أمام أي شبهة آثر التعبير بصيغ الجمع في قوله : " **العلماء، والأئمة**، والمذاهب، **وكتب الكلام**، و **كتب الفقه**" لقصد التعميم، فهذا المسلك تبناه علماء الإسلام منذ بزوغه إلى قيام الساعة.

وقد راعى الشيخ في الجمع بين كتب علم الكلام، وكتب علم الفقه ما بينها من تناسب قائم على اعتماد العقل والمنطق في توجيه كثير من المسائل؛ ومن ثم تعدد المذاهب.

---

(١) ينظر: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الماوردي، تحقيق/ أحمد مبارك، ٣ دار الحديث، القاهرة، بدون.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (أ م م).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم الله به الرسالات، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين وبعد...

فبعد هذه الرحلة الماتعة التي استهدفت استجلاء أساليب الإقناع البلاغية في خطبة الشيخ المراغي التي تحدث فيها عن الأزهر أسفرت الدراسة عن العديد من النتائج من أهمها :

١ – بناء الأسلوب على مراعاة الإقناع مسلك عربي أصيل تجلى في التراث العربي شعرًا ونثرًا في جميع عصوره، وليس مستقى من الثقافة الغربية كما يُدعى.

٢ – جميع الأساليب البلاغية يمكن تطويعها لتحقيق إقناع المخاطب؛ لامتلاكها ناصية منافذ التأثير الوجداني والعقلي، وتتعاضد فيها أجزاء النظم مادة وبنية على تحقيق الغاية المنشودة

٣ – كشف نظم الخطبة اللثام عما يتمتع به الخطيب من ملكة لغوية ومقدرة بلاغية مكنته من تطويع الأساليب البلاغية لتحقيق بغيته المتمثلة في إقناع الآخرين.

٤ – استجابة لطبيعة الأفكار المطروحة التي ألح الخطيب على ترسيخها، والتي كان عمادها تفنيد الشبهات التي وجهت إلى الأزهر، وتصحيح الخطأ الذي اعتقد الجهال اتخذ الخطيب من المقابلة محورًا رئيسًا لبناء الخطبة يتكأ عليه غيره ليدع لهم فرصة التفكير والموازنة.

٥ – زخرت الخطبة بالعديد من الأساليب البلاغية التي اتخذها الخطيب أداة للإقناع مثل الإيضاح بعد الإبهام، والتوكيد، والمقابلة، والاقتباس، والشرط، والمذهب الكلامي، وقد تفاوت ورود تلك الأساليب كثرة وقلة

حيث كان لأسلوبي الإيضاح بعد الإبهام، والتوكيد النصيب الأوفر.

٦ – اتسعت دائرة الإقناع في بناء الخطبة لتشمل الأساليب الإبداعية التي جادت بها قريحة الخطيب كالتوكيد، والمقابلة، والأساليب النقلية القائمة على الأخذ من القرآن الكريم كالاستشهاد، والاقتباس.

٧ – قلة أساليب الإقناع القائمة على التخييل كالاستعارة، والكناية؛ لاعتماد الخطبة على تقرير الحقائق الثابتة.

وفي الختام توصي الدراسة بضرورة تسليط الضوء على بيان أثر أساليب الإقناع البلاغية في صياغة النظم شعرًا ونثرًا.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم جل من أنزله.

ثانيًا: المطبوعات :

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- الإحكام في أصول الأحكام الآمدي، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤ هـ.
- أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني، القاهرة، ط الأولى ١٤١٢/ ١٩٩١م.
- إصلاحي في جامعة الأزهر أعمال محمد مصطفى المراغي وفكره، فرنسين كوستيه ، ترجمة/ عاصم عبد ربه، المركز القومي للترجمة بالقاهرة ٢٠١٣م.
- أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ٢٠٠٧م.
- الإمام المراغي أنور الجندي دار المعارف بمصر ١٩٥٢م
- الإمام المراغي وجهوده في الدعوة أحمد عمر هاشم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وزارة الأوقاف يونيو ٢٠٠٧م.
- إيضاح الدليل في قطع صحيح أهل التعطيل بدر الدين الحموي تحقيق وهبي سليمان دار السلام للطباعة ط الأولى ١٩٩٠م.
- الإيضاح وبحاشيته البغية عبد المتعال الصعيدي مكتبة الآداب القاهرة ٢٠٠٥م.
- بديع القرآن ابن أبي الإصبع المصري تحقيق حفني محمد شرف نهضة مصر للطباعة والنشر ط ١٩٥٧م.

- البرهان في علوم القرآن الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية بيروت ط الأولى ١٩٥٧م.
- البرهان في وجوه البيان ابن وهب تحقيق حفني محمد شرف مكتبة الشباب القاهرة ١٩٦٩م.
- البلاغة العربية عبد الرحمن حنبكة دار القلم دمشق ط الأولى ١٩٩٦م.
- البلاغة فنونها وأفنانها " علم المعاني" فضل عباس حسن دار الفرقان للنشر والتوزيع ط الأولى ١٩٨٥م.
- البلاغة والاتصال جميل عبد المجيد دار غريب القاهرة ٢٠٠٠م.
- البيان والتبيين الجاحظ، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ه.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ابن أبي الإصبع تحقيق حفني محمد شرف لجنة إحياء التراث الإسلامي مصر بدون.
- التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م
- التشويق في الحديث النبوي " طرقه وأغراضه" بسيوني فيود مطبعة الحسين الإسلامية القاهرة ط الأولى ١٩٩٣م.
- التفسير الكبير الرازي دار إحياء التراث العربي بيروت ط الثالثة ١٤٢٠هـ.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، بدون.
- الجنى الداني في حروف المعني المرادي تحقيق فخر الدين قباه، ومحمد نديم دار الكتب العلمية بيروت ط الثالثة ١٩٩٢م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع السيد أحمد الهاشمي المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٣م.

- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان الشافعي دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
- حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، البيجوري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ط الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية عبد الله صولة دار الفاربي بيروت ط الثانية ٢٠٠٧م.
- الخصائص ابن جني الهيئة المصرية العامة للكتاب ط الرابعة بدون.
- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة ط السادسة ٢٠٠٦م.
- الخطابة في صدر الإسلام " العصر الديني عصر البعثة الإسلامية" محمد طاهر درويش دار المعارف بمصر ١٩٥٠م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك الأشموني دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٩٩٨م.
- شرح المفصل ابن يعيش دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ٢٠٠١م.
- شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، دار المعارف النعمانية باكستان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- شرح تسهيل الفوائد ابن مالك تحقيق عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي هجر للطباعة والنشر ط الأولى ١٩٩٠م.
- شرح ديوان المتنبي عبد الرحمن البرقوقي دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- شرح شافية ابن الحاجب الرضي الاستراباذى تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد محي الدين دار الكتب العمية بيروت ١٩٧٥م.
-الشيخ المراغي بأقلام الكتاب أبو الوفا المراغي المطبعة المنيرية ط

الأولى ١٩٥٧م
-الشيخ المراغي والإصلاح الديني في القرن العشرين محمد عمارة دار السلام للطباعة والنشر بدون.
- الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو الهلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي،محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١٩هـ.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز العلوي المكتبة العصرية بيروت ط الأولى ١٤٢٣هـ.
- عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص بهاء الدين السبكي دار الكتب العلمية بيروت بدون.
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم محمد خليل ملكاوي دار الزمان ط الأولى ١٩٨٥م
- العلاقات العامة للأسس والمبادئ ، محمد نجيب مكتبة الرائد العلمية الأردن ٢٠٠١م.
- علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع بسيوني عبد الفتاح فيود مؤسسة المختار القاهرة ط الثانية ٢٠٠٨م.
- علم المعاني محمود توفيق دار الكتب الجامعية ١٤٢٤هـ.
- الفروق اللغوية أبو هلال العسكري تحقيق محمد إبراهيم سليم دار العلم والثقافة القاهرة بدون.
- فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال ابن رشد تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط الثالثة ١٩٨٦م.
- فنون بلاغية أحمد مطلوب دار البحوث العلمية الكويت ١٩٧٥م.
- كتاب التعريفات الجرجاني دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٩٨٣م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكوفي تحقيق

عدنان درويش، ومحمد المصري مؤسسة الرسالة بيروت بدون.
- لسان العرب ابن منظور دار صادر بيروت ط الثالثة ١٤١٤هـ.
- اللسان والميزان طه عبد الرحمن المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ١٩٩٧م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، بدون
- المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر ١٠٠هـ _ ١٣٧٠هـ عبد المتعال الصعيدي مكتبة الآداب القاهرة ١٩٩٦م.
- المستدرك على الصحيحين الحاكم ابن البيع تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٩٩٠م.
- المسند الصحيح مسلم بن الحجاج تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي بيروت بدون.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٩٨٨م.
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية جميل صليبا دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٢م،
- معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عبد الحميد عالم الكتب ط الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة دار الدعوة بدون.
- مفاتيح العلوم، الخوارزمي ت إبراهيم الإبياري دار الكتاب العربي ط الثالثة بدون.
- مفتاح العلوم السكاكي ضبطه نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- المفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني تحقيق صفوان عدنان دار القلم دمشق ط الأولى ١٤١٢هـ.
- المقتضب للمبرد ت/ محمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب، بيروت، بدون.
- ملامح التجديد الفقهي عند الإمام المراغي عبد الله مبروك النجار، هدية مجلة الأزهر شعبان ١٤٢٨هـ/ أغسطس ٢٠٠٧م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني تحقيق محمد الحبيب دار الغرب الإسلامي بدون
- المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت ط الأولى ١٩٩٧م.
- النص والخطاب والاتصال محمد العبد الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة ٢٠١٤م.
- نظريات الحجاج فيلبير بتيه ترجمة محمد الغامدي مركز النشر العالمي جامعة الملك عبد العزيز جدة ط الأولى ٢٠٠١م.
- نظرية الحجاج دراسة وتطبيقات عبدالله صولة مسكيلياني للنشر تونس ط الأولى ٢٠١١م.
- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو الحسن الروماني، تحقيق/ محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط الثالثة١٩٧٦م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع السيوطي تحقيق عبد الحميد هنداوي المكتبة التوفيقية مصر بدون.

ثالثًا الرسائل العلمية:

- الإمام الشيخ/ محمد مصطفى المراغي والأدبي الإسلامي في تراثه رسالة ماجستير، د/ أحمد يوسف خليفة مخطوط بكلية التربية جامعة القاهرة ١٩٧٧م.
- الشيخ المراغي ودوره في المجتمع المصري (١٨٨٢_ ١٩٤٥م)، رسالة ماجستير إعداد/ عبد الرحمن محمد البكري، مخطوط بكلية الآداب جامعة طنطا ٢٠٠٩م.
- فقه الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي ت (١٣٦٤هـ) جمعًا ودراسة رسالة دكتوراه للباحث/ محمد السيد محمود مخطوط بكلية الآداب جامعة سوهاج ٢٠٢٢م.

رابعًا: المجلات العلمية:

- الأزهر الشريف بين المراغي والظواهري"، د/ مجاهد توفيق الجندي بحث منشور بكلية اللغة العربية العدد الثامن عشر ٢٠٠٠م.
- الإمام المراغي ومنهجه في الإصلاح د/ خديجة عبد السميع أحمد، بحث منشور بمجلة مؤتمر "الأزهر الشريف تاريخ وريادة"، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ٢٠٢٢م.
- المنحنى الإنساني في فكر الإمام المراغي (البواعث والآثار) د/ محمود بُطل محمد، بحث منشور بمجلة كلية الدعوة جامعة الأزهر بالقاهرة ٢٠١٧م.

- Awlan: Al Quran Alkarim Jala Min Anzalahi.
- Thanyan: Almatbueat:
- Al'iitqan fi Eulum Alqurani, Alsuyutii tahqiq Muhamad Abu Alfadl Ibrahim Alhayyat almisriat aleamat lilkitab t 1394AH/1974AD.
- Al'iihkam fi Usul Al'ahkam Alamdi, tahqiq Sayid Aljamili, dar alkitaab alearabi, Bayrut, t al'uwlaa, 1404 AH.
- Asrar Albalaghat Abd Alqahir Aljirjani, tahqiq Mahmud Muhamad Shakir Matbaeat Almadani, alqahirati, t al'uwlaa 1412/ 1991AD.
- Islahiun fi Jamieat Al'azhar 'aemal Muhamad Mustafaa Almaraghi wafikruhu, farinsin kustih , tarjamatu/ Easim Abd Rabih, almarkaz alqawmia liltarjamat bialqahirat 2013AD.
- Usul Alhiwar watajdid Eilm Alkalami, tah Abd Alrahman, almarkaz althaqafiu alearabiu aldaar albayda' 2007AD.
- Al'iimam Almaraghi Anwar Aljundiu dar Almaearif bimisr 1952AD
- Al'iimam Almaraghi wajuhuduh fi Aldaewat Ahmad Omar Hashim, Almajlis Al'aelaa lilshuyuwn al'iislamiat wizarat al'awqaf Yuniu 2007AD.
- 'iidah aldalil fi qitae sahih 'ahl altaetil badr aldiyn alhamawi tahqiq wahabi sulayman dar alsalam liltibaeat t al'uwlaa 1990m.
- al'iidah wabihashiatih albughyat eabd almutaeal alsaeidiu maktabat aladab alqahirat 2005AD.
- Badie Alquran Ibn Abi Al'iisbie Almisriu tahqiq Hifniun Muhamad Sharaf nahdat misr liltibaeat walnashr t 1957AD.
- Alburhan fi Ulum Alquran Alzarkashi, tahqiq Muhamad Abu Alfadl Ibrahim dar 'iihya' alkutub alearabiat Bayrut t al'uwlaa 1957AD.
- Alburhan fi Wujuh Albayan Ibn wahab tahqiq Hifni

Muhamad Sharaf maktabat alshabab alqahirat 1969AD.
- Albalaghat Alearabiat Abd Alrahman Hanbakat dar Alqalam Dimashq t al'uwlaa 1996AD.
- Albalaghat Fununuha wa Afnanuha " Eilm Almaeani" Fadl Abaas Hasan dar alfurqan lilnashr waltawzie t al'uwlaa 1985AD.
- Albalaghat waliatisal Jamil Abd Almajid dar gharib alqahirat 2000AD.
- Alibayan waltabyin aljahiza, dar maktabat alhilali, Bayrut, 1423AH.
- Tahrir Altahbir fi sinaeat alshier walnathr wabayan Iejaz Alquran Ibn Abi al'iisbie tahqiq Hifni Muhamad Sharaf lajnat 'iihya' alturath al'iislamii misr biduni.
- Altahrir waltanwir altaahir bin Ashur Aldaar Altuwnusiat lilnashr 1984AD
- Altashwiq fi Alhadith Alnabawii " taruquh wa'aghraduhu" Bisyuni Fuywd matbaeat alhusayn al'iislamiat alqahirat t al'uwlaa 1993AD.
- Altafsir Alkabir Alraazi dar 'iihya' alturath alearabii Bayrut t althaalithat 1420AH.
- Jamharat Khutab Alearab fi eusur alearabiat alzaahirat Ahmad Zakiy Safwat, almaktabat aleilmiati, Bayrut, bidun.
- Aljanaa Aldaani fi Huruf Almaenii Almuradi tahqiq Fakhr Aldiyn Qabahi, wa Muhamad Nadim dar alkutub aleilmiat Bayrut t althaalithat 1992AD.
- Jawahir Albalaghat fi Almaeani wa Albayan wa Albadie Alsayid Ahmad Alhashimi almaktabat aleasriat Bayrut 2003AD.
- Hashiat Alsubaan Ealaa Sharh Al'ashmuni li'alfiat Ibn Malk, Abu Aleirfan Alshaafieii dar alkutub aleilmiat Bayrut t al'uwlaa 1417AH/1997AD .
- Hashiat Al'iimam Albijurii Ealaa jawharat altawhidi,

albijuri, dar alsalam liltibaeat walnashr waltawzie t al'uwlaa 1422AH / 2002AD
- Alhujaaj fi Alquran min Khilal Ahami Khasayisih al'uslubiat Abd Allah sawlat dar alfaribi Bayrut t althaaniat 2007AD.
- Alkhasayis Ibn Jini Alhayyat almisriat aleamat lilkitab t alraabieat biduni.
- Khasayis Altarakib dirasat tahliliat limasayil eilm almaeani Muhamad Muhamad Abu Musaa maktabat wahbat t alsaadisat 2006AD.
- Alkhitabat fi Sadr Al'iislam " Aleasr aldiyniu easr albiethat al'iislamiati" Muhamad Tahir Darwish dar almaearif bimisr 1950AD.
- Sharah Al'ashmuni Ealaa 'alfiat Ibn Malik Al'ashmuni dar alkutub aleilmiat Bayrut t al'uwlaa 1998AD.
- Sharah Almufasal Ibn Yaeish dar alkutub aleilmiat Bayrut t al'uwlaa 2001AD.
- Sharh Almaqasid fi Eilm Alkalami, Altaftazani, dar almaearif alnuemaniat bakistan, 1401AH/ 1981AD.
- Sharh Tashil Alfawayid Ibn Malik tahqiq Abd Alrahman Alsayida, wa Muhamad Badawi hajr liltibaeat walnashr t al'uwlaa 1990AD.
- Sharah Diwan Almutanabiy Abd Alrahman Albarquqii dar alkitaab alearabii Bayrut 1407hi/ 1986m.
- sharh shafiat abn alhajib alradiu aliastirabadhaa tahqiq muhamad nur alhasan , wamuhamad muhi aldiyn dar alkutub aleamayat Bayrut 1975AD.
- Alshaykh Almuraghi bi'aqlam alkitaab Abu Alwfa almaraghi almitbaeat almuniriat t al'uwlaa 1957AD
- Alshaykh Almaraghi wal'iislah Aldiyniu fi Alqarn Aleishrin Muhamad eimarat dar alsalam liltibaeat walnashr biduni.

- Alsinaeatayni: Alkitabat walshiera, Abu Alhilal Aleaskari, tahqiq Ali Muhamad Albijawi, Muhamad Abu Alfadl Ibrahim, , almaktabat aleasriatu, Bayrut, 1419AH.
- Altiraz li Asrar Albalaghat wa Eulum Haqayiq Al'iiejaz aleulawi almaktabat aleasriat Bayrut t al'uwlaa 1423AH.
- Earus al'afrah dimn Shuruh Altalkhis Baha' Aldiyn Alsabakii dar alkutub aleilmiat Bayrut bidun.
- Eaqidat Altawhid fi Alquran Alkarim Muhamad Khalil Malakawi dar alzaman t al'uwlaa 1985AD
- Alealaqat Aleamat lil'usus walmabadii, Muhamad Najib maktabat alraayid aleilmiat al'urdunu 2001AD.
- Ealam Albadie dirasat tarikhiat wafaniyat li'usul albalaghat wamasayil albadie bisyuni Abd Alfataah Fiwd Muasasat almukhtar alqahirat t althaaniat 2008AD.
- Ealam Almaeani Mahmud Tawfiq dar alkutub aljamieiat 1424AH.
- Alfuruq Allughawiat Abu Hilal Aeaskari tahqiq Muhamad Ibrahim Salim dar aleilm walthaqafat alqahirat bidun.
- Fasal Almaqal Bayn Alhikmat walsharieat min alaitisal Ibn Rushd tahqiq Muhamad Eimarat, almuasasat alearabiat lildirasat walnashr t althaalithat 1986AD.
- Fnun Balaghiat Ahmad Matlub dar albuhuth aleilmiat alkuayt 1975AD.
- Ktab Altaerifat Aljirjaniu dar Alkutub aleilmiat Bayrut t al'uwlaa 1983AD.
- Alkuliyaat Muejam fi Almustalahat walfuruq allughawiat, Abu Albaqa' Alkufi tahqiq Adnan Darwish, wa Muhamad Almasri Muasasat alrisalat Bayrut bidun.
- Lisan Alearab Ibn Manzur dar sadir Bayrut t althaalithat 1414AH.
- Allisan walmizan tah Abd Alrahman Almarkaz althaqafiu alearabiu aldaar albayda' 1997AD.
- Almathal alsaayir fi Adab Alkatib walshaaeiri, Dia' Aldiyn

bin Al'athir, tahqiq Ahmad Alhufi, wa Badawi tabaanata, dar nahdat misr liltibaeat walnashri, alqahirati, bidun
- Almujadadun fi Al'iislam min Alqarn Al'awal 'ilaa alraabie eashar 100AH _ 1370AH Abd almutaeal alsaeidii maktabat aladab alqahirat 1996AD.
- Alimustadrak Ealaa Alsahihayn Alhakim Ibn Albaye tahqiq Mustafaa Abd Alqadir Ata dar alkutub aleilmiat Bayrut t al'uwlaa 1990AD.
- Almusnad Alsahih Muslim bin Alhajaaj tahqiq Muhamad Fuad Abd Albaqi dar 'iihya' alturath alearabii Bayrut bidun
- Maetaruk Al'aqran fi 'iiejaz Alquran Alsuyutii dar alkutub aleilmiat Bayrut t al'uwlaa 1988AD.
- Almuejam Alfalsafiu bial'alfaz alearabiat walfaransiat wal'iinkliziat wallaatiniat Jamil Saliban dar alkitaab allubnanii Bayrut 1982AD,
- Muejam Allughat Alearabiat Almueasirat Ahmad Mukhtar Abd Alhamid Alam alkutub t al'uwlaa 1429AH / 2008AD.
- Almuejam Alwasit majmae allughat alearabiat bialqahirat dar aldaewat biduni.
- Mafatih Aleulumi, alkhawarizmiu t Ibrahim Al'iibyariu dar alkutaab alearabii t althaalithat biduni.
- Miftah Aleulum Alsakakii dabtah Naeim Zarzur dar alkutub aleilmiat Bayrut 1407AH/1987AD.
- Almufradat fi Gharayb Alquran Alraaghib Al'asfahani tahqiq Safwan Adnan dar alqalam Dimashq t al'uwlaa 1412AH.
- Almuqtadab li Almabrad ta/ Muhamad Abd Alkhaliq eadimat ealim alkutab, Bayrut, bidun.
- Malamih altajdid alfiqhii eind Al'iimam Almaraghi Abd Allah Mabruk alnijar, hadiat majalat al'azhar shaeban 1428AH/ 'aghustus 2007AD.

- Minhaj Albulagha' wasiraj al'udaba' Hazim alqirtajani tahqiq Muhamad Alhabib dar algharb al'iislamii bidun
- Almawaqifi, Add Aldiyn Al'iiji, tahqiq Abd Alrahman eumayrata, dar aljil Bayrut t al'uwlaa 1997AD.
- Alnns walkhitab waliatisal Muhamad Aleabd al'akadimiat alhadithat lilkitab aljamieii alqahirat 2014AD.
- Nazariaat Alhujaaj filbir batih tarjamat Muhamad Alghamidi markaz alnashr alealamii jamieat almalik eabd aleaziz jidat t al'uwlaa 2001AD.
- Nazariat Alhujaaj dirasat watatbiqat Abdallah Sawlat miskiliani lilnashr tunis t al'uwlaa 2011AD.
- Alnakt fi Iejaz Alquran dimn thalath rasayil fi 'iiejaz alqurani, Abu Alhasan Alruwmani, tahqiqu/ Muhamad Khalf Allah, Muhamad Zaghlul Salam, dar almaearifi, alqahirati, t althaalithati1976AD.
- Hamae Alhawamie fi Sharh Jame Aljawamie Alsuyutii tahqiq Abd Alhamid Hindawi almaktabat altawfiqiat misr biduni.
- Thalthan Alrasayil Aleilmiatu:
- Al'iimam Alshaykhi/ Muhamad Mustafaa Almaraghi wal'adabiu al'iislamiu fi turathih risalat majistir, Dr/ Ahmad Yusif Khalifat makhtut bikuliyat altarbiat jamieat alqahirat 1977AD.
- Alshaykh Almuraghi wadawruh fi almujtamae almisrii (1882_ 1945AD), risalat majistir 'iiedadi/ Abd Alrahman Muhamad Albakri, makhtut bikuliyat aladab jamieat tanta 2009AD.
- Faqah Al'iimam Al'akbar Alshaykh Muhamad Mustafaa Almaraghi t (1364AH) jmean wadirasat risalat dukturah lilbahithi/ Muhamad Alsayid Mahmud makhtut bikuliyat aladab jamieat Suhag 2022AD.
- Rabean: Almajalaat Aleilmiati:
- Al'azhar Alsharif bayn Almaraghi walzawahiri", Dr/

Mujahid Tawfiq Aljundii bahath manshur bikuliat allughat alearabiat aleadad althaamin eashar 2000AD.

- Al'iimam Almaraghi wamanhajuh fi al'iislah Dr/ Khadijat Abd Alsamie Ahmad, bahath manshur bimajalat mutamar "al'azhar alsharif tarikh wariadati", kuliyat aldirasat al'iislamiat walearabiat lilbanat bi Suhaj 2022AD.
- Amunahanaa Al'iinsaniu fi fikr Al'iimam almaraghi (albawaeith waluathar) Dr/ Mahmud Butl Muhamad, bahath manshur bimajalat kuliyat aldaewat jamieat al'azhar bialqahirat 2017AD.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	١٦٧٠
التمهيد	١٦٧٦
المحور الأول: نبذة عن الشيخ المراغي.	١٦٧٦
المحور الثاني: إضاءة على حد الإقناع وسماته الأسلوبية.	١٦٧٩
المحور الثالث: الإقناع والبلاغة العربية.	١٦٨٧
أساليب الإقناع في خطبة الشيخ المراغي عن الأزهر دراسة بلاغية	١٦٩٤
المبحث الأول: أسلوب الإيضاح بعد الإبهام.	١٦٩٤
المبحث الثاني: أسلوب التوكيد.	١٧١٤
المبحث الثالث : أسلوب المقابلة.	١٧٢٦
المبحث الرابع: أسلوب الشرط.	١٧٣٦
المبحث الخامس: أسلوب الاقتباس.	١٧٤٠
المبحث السادس: أسلوب المذهب الكلامي.	١٧٤٤
الخاتمة:	١٧٤٨
ثبت المصادر والمراجع.	١٧٥٠
فهرس الموضوعات.	١٧٦٤